Şarkiyat İLMİ ARAŞTIRMALAR DERGİSİ
JOURNAL OF ORIENTAL SCIENTIFIC RESEARCH (JOSR)
Cilt/Volume: 13, **Sayı/Issue:** 1 (Nisan/April 2021) **Sayfa/Page:** 563-586

غرض الفخر عند شعراء غرب إفريقيا

Youssoufa SOUMANA
Kahramanmaraş Sütçü İmam Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Kahramanmaraş/Türkiye
youssoufsoum@hotmail.com, https://orcid.org/0000-0002-3133-579X

Article Types / Makale Türü
Research Article / Araştırma Makalesi

Received / Makale Geliş Tarihi
03/02/2021

Accepted / Kabul Tarihi
30/03/2021

Doi: https://doi.org/10.26791/sarkiat.873741

غرض الفخر عند شعراء غرب إفريقيا

ملخص

هـذه الدراسـة تتمحـور حـول قصائـد الفخـر لشـعراء منطقـة الغـرب الإفريقـي، وتهـدف إلى الاطـلاع عـلى الأسـاليب البلاغيـة والتراكيـب الإفريقيـة التـي اسـتخدمها شـعراء المنطقـة في فـنّ الفخـر؛ إذ إنـه مـن الأهميـة أن نسـلِّط الضـوء عـلى مثـل هـذه الأغـراض الشـعرية العربيـة الإفريقيـة التـي مـا زالـت مجهولـة الحـال عنـد كثـير مـن الدارسـين، لأن ذخائـر علـماء غـرب إفريقيـا معظمهـا لم يسـطَع عليهـا حتـى الآن نـور التأليـف والطباعـة. ولما كان غـرض الفخـر موضوعـا تناولـه الشـعراء الأفارقـة في نطـاق محـدود رأى الباحـث أنـه مـن الأحسـن أن يكـون محـل الدراسـة لفـن الفخـر حـول منطقـة غـرب إفريقيـا، حتـى تتجـلى الملامـح التـي يتميـز بهـا هـذا الغـرض عـن غـيره في الشـعر العـربي الإفريقي. ولمعرفـة ذلـك فقـد اتُّبِـعَ في هـذا البحـث المنهـج الوصفـي التحليـلي، حيـث جُمعـت قـدرَ الإمـكانِ قصائـدُ شـعراء المنطقـة التـي قيـل فيهـا الفخـر، ومـن ثَـمَّ تـمَّ فرزهـا ووصفهـا وتحليلهـا ومعالجتهـا. وقـد توصـل الباحـث إلى أن الشـعراء الأفارقـة افتخـروا بذاتهـم الخَلقِيّـة والخُلقيـة وبمواهبهـم الشـعرية والعلميـة، وافتخـروا كذلـك بأحزابهـم الدينيـة والقبليـة. إلا أن افتخارهـم بأمجـاد قبائلهـم وأنسـابهم طُـلِيَ بصبغـة إسـلامية. وقـد كانـت بعـض مقدمـات قصائـد الفخـر محـررة مـن المقدمـات الطللية، حيـث تبتـدئ هـذه المقدمـات أحيانـا بالحمدلـة والصلصلـة وتختتـم بمـا ابتـدأت بهـا مـن صـلاة عـلى النبـي عليـه الصـلاة والسـلام. وكـما وجـد الباحـث أيضـا أن هـذه القصائـد تضمنـت بعضـاً مـن الأسـاليب المرتبطـة بالبيئـة الإفريقيـة.

الكلـمات المفتاحيـة: اللغـة العربيـة، الأدب، غـرب إفريقيـا، الشـعر، الفخـر

THE THEME OF ODE AMONG WEST AFRİCAN POETS

ABSTRACT

This study aims to examine how West African poets use the theme of ode (boasting), compositions, and scourge in their poems. However, this study is extremely important as it sheds light on aspects that many researchers do not know about Arab poetry in Africa.

lack press. Since African poets have taken the ode theme limitedly, it was decided that it would be more appropriate to expand the work and cover all of West Africa. The main goal is to reveal the ode theme of West Africa and its characteristics. In the study, odes of West African poets were collected, and necessary classifications were made, the obtained information were thoroughly analyzed and subjected to document analysis. In the study, it was determined that the poets of the region wrote poems boasting of their courage, good morals, poetry skills, religion, and tribes. However, it is clearly noticed that Islamic style prevailed in their praise of their tribes. Sometimes the entries of odes are written freely without classical ode restrictions because some poets started their odes in the name of Allah and the Messenger and finished with thanksgiving. It is imperative to note that in the odes, expressions about African environment and culture were also sometimes found.

Keywords: Arabic Language, literature, West Africa, poetry, ode

مدخل

إنَّ المقصود بالغرب الإفريقيّ اليومَ هي تلك المنطقة التي تشمل هذه الدول الخمس عشرة الآتية: نيجيريا والنيجر ومالي وبوركينا فاسو وبنين وتوغو وغانا وساحل العاج وليبيريا وسيراليون وغامبيا وغينيا بيساو وغينيا كوناكري والسنغال والرأس الأخضر. وقد كان أدَب غَرْبِ إفْريقِيَا أَدَبا شَفَوِيّا يتناقله الصِّغار منَ الأكابر إلى أنْ جاء القرْن الأوَّل الهِجريّ الذي دخل فيه الإسلام المنطقةَ عن طريق الصَّحابي الجليل عقبة بن نافع الموصِّلِ الإسلامَ إلى بعض أجزاء أراضي المنطقة المتاخمة لإفريقيا الشمالية.[1] وَمِنْ ثَمَّ دخل الإسْلامُ في أواسِط المِنطقة الغربية بفضل التُّجَّار العرب الشَّماليِّين الذين يجوبون أرجاءَ المنطقة قصدَ توطيد العلاقات التجارية مع الأفارقة ونشرِ دين الإسلام في المنطقة.

دخل الأفارقة الإسلام زرافات ووحدانا، وأسسّوا مراكز ودُورا ليتفقَّهَ أبناء المنطقة دينهم الجديد، ويدرسوا اللغة العربية التي يرون أن فهم الإسلام متوقف على الضلوع فيها. ولم يكْتفِ الأفارقة بالاهتمام باللغة العربية فحسب، بل جعلوها لغة رسمية يكتبون بها رسائلهم اليومية والعلمية والقضائية.[2] فمنذ ذلك الوقت أصْبح الأدب الإفريقي الشفويّ أدباً إسْلاميًّا مكتوبًا بالحرف العربي ساريَ المفعول حتّى جاء المستعمرون الأوروبيون في القرن التاسع عشر، فبدّلوا اللغة العربية بلغاتهم اللّاتينيّة.

تعلّم الأفارقة اللغة العربية وآدابها، فتبحروا فيها وقرضوا الشعر العربي للتعبير عن أحاسيسهم وعواطفهم على منهج الشعر الجاهلي والإسلامي. وقد تناولوا الأغراض الشعرية كلّها ولكن بدرجات متفاوتة، فبينما هم أسرفوا في بعضها مثل المدح والرثاء أقلّوا في الشعر الفخري. ولعل السبب في ذلك هو رؤيتهم الإسلاميّة التي تمنعهم عن الفخر الذي نهى الإسلام عنه إلا في نطاق محدود كجواز التفاخر في الحروب والقول به أمام الأعداء لرفع معنويات المقاتلين. وقلة ما قيل في هذا الفن في المنطقة تجعلنا لا نستطيع أن نتقيد في هذا البحث بزمن معين أو بدولة معينة من دول منطقة غرب إفريقيا؛ فلهذا ارتأينا أن تكون هذه الدراسة حول المنطقة بأكملها حتى نتمكَّن على إظهار صورة كاملة لهذا الغرض. وبالرغم من عدم إكثار شعراء المنطقة للشعر الفخري نجد أنّ ما قرضوه في هذا الفنّ يشتمل أساليب جديدة مرتبطة بواقعهم الإسلامي والإفريقي.

مفهوم الفخر وتاريخ نشأته في الشعر العربي

إن الألفاظَ المشتقة من فعل «فَخَر» تدور معانيها في اللغة بين التَّباهي والتمدُّح والتَّكَبُّر والتعاظم والتفاضل.[3] ومن هذا المنطلق كان المعنى الاصطلاحي للفخر هو تعداد الفضائل والـمُثل العُليا والتباهي بالفِعال الطيبة والسّجايا النفسية والصفات الحميدة، سواء أكانت فردية أم قومية.[4] ولهذا يرى النقاد أن الفخر ما هو إلا نوع من المدح[5] والحماسة[6] إذ الفخر تذكي نار الحماسة التي تهز عاطفية الشاعر إلى الاعتداد بالنفس والتغني بالبطولة والإقدام والشجاعة وذكر الكرم والعزة النفسية والترفع الذاتي.

كان الفخر شعرا غنائيا يتغنى به العرب منذ العصر الجاهلي، وقد اتخذوه مطيّة لتعداد فضائلهم، سواء على المستوى الفردي أم على المستوى القبلي. إذْ كان بعضهم في الجاهلية يشيد بشجاعته وفروسيته أو بمهارته وتفوقه على غيره في نظم الشعر وفصاحة الكلام، أو كان بعضهم الآخر يفتخر بقبيلته وما سطرتها من أمجاد في ميادين الكرم والضيافة، وما قامت به من الانتصارات في الحروب والدفاع عن حياضها. مثل الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي (ت. ٥٨٤م) الذي يفتخر بقومه أهلِ تغلب ويذكر بسالتهم وفروسيّتهم قائلا: [الوافر]

وَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ ... إِذَا قُبَبٌ بِأَبطَحِهَا بُنِيْنَا
بِأَنَّا الْمُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا ... وَأَنَّا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِيْنَا
وَأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا ... وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِيْنَا[7]

وكذلك الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد (ت. ٦٠٨م) الذي كان يتألم مما أفرضت عليه أحداث الزمان من الاستعباد والنظرة الدنية التي يعاني منها، فاضطر أن يُسكِت مُعيبِيه وحاسِديه بذكر البطولات الحربية التي قام بها، والْمُثل الخُلقية الحميدة التي اتّصف بها. فيقول

1 - انظر: شيخو أحمد سعيد غلادنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجير، ط3، (كانو: دار الأمة، 2016)، 60؛ محمد محمود القاضي، عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقية، (القاهرة: مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية، 1999)، 15.

2 - للاطلاع على دوْر الممالك الإسلامية التي تأسست في المنطقة في بلورة الثقافة الإسلامية انظر: نعيم قداح، أفريقية الغربية في ظل الإسلام، (دمشق: مكتبة أطلس، 1961).

3 - انظر، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، 5/48.

4 - إميل ناصيف، أروع ما قيل في الفخر والحماسة، (بيروت: دار الجيل، 1950)، 13.

5 - يرى ابن رشيق (ت456هـ) أن الفخر هو عين غرض المدح إلا أنَّ الفرق بيْن المدح والفخر هو أن الشخص يمدح نفسه في الفخر، بخلاف المدح الذي يمدح الشخص غيرَهُ فيه. انظر: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مح: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، 1981)، 2/143.

6 - انظر: حنا الفاخوري، الفخر والحماسة، ط5، (القاهرة: دار المعارف، 1992) 6.

7 - أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزَّوْزني، شرح المعلقات السَّبع، (د.م: الدار العالمية، 1993)، 26.

في هـذا الصـدد مخاطبا حبيبتـه التـي هـي ابنـة عمّـه عبْلـة: [الكامـل]

وإذا صحوتُ فما أُقصِّرُ عن نَدى ... وكما علِمْتِ شمائلي وتكرُّمي
هَلاَّ سَأَلْتِ الخَيلَ يابْنةَ مَالِكٍ ... إنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعَةَ أَنّني ... أَغْشَى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّمَاحُ كَأَنَّها ... أَشْطَانُ بِئْرٍ في لِبَانِ الأَدْهَمِ
مَازِلْتُ أَرمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ ... ولِبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ[8]

ولما جاء الإسلام الذي نبذ الفوارق القبلية والعنصرية، ودعا الناس إلى الوحدة والوئام والعيش تحت لواء واحد، تحوّل الفخر ذو النزعة الفردية والقبلية والعنصرية إلى فخر لها طابع ديني جماعي، حيث كان الشعراء الإسلاميون يتفاخرون بما يقوم به قادة المسلمين من الغزوات والفتوحات، مثل الشاعر المخضرم النابغة الجَعدي (ت. ٥٠هـ) الذي لما أسلم توجّهَ بشعره الفخري إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والافتخار به وأصحابه الأبطال الذين قاموا بنشر دين الإسلام في الجزيرة العربية، فيقول: [الطويل]

أَتيْتُ رَسُولَ اللهِ إذْ جَاءَ بِالْهُدَى ... وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجَرَّةِ نَيِّرًا
وَجَاهَدْتُ حَتَّى مَا أُحِسُّ وَمَنْ مَعِي ... سُهَيْلًا إِذَا مَا لَا ثَمَّتَ غَوَّرَا
وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا تَعَوَّدَ خَيْلُنَا ... إِذَا مَا الْتَقَيْنَا أَنْ تَحِيْدَ وَتَنْفِرَا
بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُـدُودُنَا ... وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا[9]

ولما قال الشاعر النابغة الجعدي هذه الأبيات المحتوية على معانٍ سامية أمام النبي صلى الله عليه وسلم دعا له الرسول عليه الصلاة والسلام قائلا: «أجَدْت لا يفضض الله فاك»[10]

لكن سرعان أن نتج عن الفخر الديني نوع آخر في العهد الأموي ألا وهو الفخر الحزبي الديني نتيجة الانقسامات الطائفيّة التي ظهرَت عنْدما قُتِل عثمان بن عفان رضي الله عنه. فأصبح الشعراء الإسلاميون يفتخرون بمذاهبهم الدينية والسياسية، مثل الشاعر قطري بن الفجاءة (ت. ٧٨هـ) من الخوارج الذي ظلّ نحو عشرين عاما يقاتل الأمويين،[11] والكميت بن زيد الأسدي (ت. ١٢٦هـ) من الشيعة، وعبد الله بن قيس الرقيات (ت. ٨٥هـ) من مؤيدي الزبيريين، وكعب بن معدان الأشقريّ (ت. ٨٠هـ) من الشعراء المفتخرين بالأمويين والواصفين حروبَهم.[12]

وهكذا استمر الفخر الديني والحزبي في جميع الدول الإسلامية التي أقيمت بعد انقراض العهد الأموي ابتداء من الدولة العباسية إلى الدولة العثمانية العليّة. فلنكتفِ بمثال واحد من الشعراء الذين افتخروا بجيوش الدولة العثمانية، وهو قصيدة الشاعر محمود سامي البارودي (ت. ١٩٠٤م) الذي شارك مع العثمانيين في حرب الروس. فيقول الشاعر في قصيدته الدالية مُفتخرا بشجاعته وإقدام الجيش العثماني نحو العدو: [الطويل]

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَّحَ الشَّرُّ بِاسْمِهِ ... وَصَاحَ الْقَنَا بالْمَوْتِ واسْتَقْتَلَ الجُنْدُ
إِذَا اشْتَبَكُوا أَوْ راجَعُوا الزَّحْفَ خِلْتَهُمْ ... بُحُوراً تَوَالَى بَيْنَهَا الْجَزْرُ والْمَدُّ
نَشُلُّهُمُ شَلَّ العطاشِ وَنَتْ بِهَا ... مُرَاغَمَةُ السُّقْيَا، وَمَاطَلَهَا الْوِرْدُ[13]

فكل ما قلناه في هذا الصدد ما هو إلا خروج فنّ الفخر عن حدود الفخر الفردي والقبلي إلى أجواء يكتنفها طابع ديني وحزب سياسي إسلامي، سوى أننا نجد في العهد العباسي مقابل الشعراء العرب الأقحاح المفتخرين بقومياتهم العربية[14] الشعراءَ المولدين الذين ليسوا من أصل عربي أنهم كانوا يحاولون أن يُثبِتوا أنفسهم في هذه المعركة القومية، ويَستَعيدُوا أمجاد أقوامهم. فمن هؤلاء الشاعر بشار بن برد (ت. ٩٦هـ/١٦٨م) الذي كان يفتخر بقومه الفرس قائلا: [الطويل]

وإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ خُرَاسَانُ دَارُهُمْ ... كِرامٌ، وفَرْعِي فيهِمُ نَاضِرٌ بَسَقْ[15]

ويقول أيضا مفتخرا بملوك الفُرس: [الطويل]

8 - عنترة بن شداد، ديوانه، مح: حمدو طمّاس، (بيروت: دار المعرفة، 2004)، 16.
9 - النابغة الجعدي، ديوانه، مح: واضح الصمد، (بيروت: دار صادر، 1998)، 78.
10 - المصدر نفسه، 11.
11 - شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، ط2، (القاهرة: دار المعارف، 1984)، 55.
12 - للتفصيل انظر، الفاخوري، الفخر والحماسة، 48-38
13 - محمود سامي البارودي، ديوانه، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013)، 88.
14 - للوقوف على بعض قصائدهم انظر: إيليّا حاوي، فنّ الفخر وتطوره في الأدب العربي، (بيروت: دار الشرق الجديد، 1960)، 1567-99.
15 - بشار بن برد، ديوانه، مح: محمد الطاهر بن عاشور، (الجزائر: وزارة الثقافة، 2007)، 9.

أَنَا ابنُ ملوكِ الأَعْجَمِينَ تقَطَّعَتْ عَلَيَّ ولِي في العَامِرِين عِمَادُ[16]

وهكذا تطوّر فنّ الفخر من طور إلى طور آخر حسب مقتضيات تقلبات الزمان والمكان وأحوال الناس، فخرج الفخر بذلك من الحيّز الفردي والقبلي إلى الحيز الديني والحزبي السياسي والقومي والشعوبي. وقد انعكس هذا التطور على أشعار شعراء غرب إفريقيا التي قيلت في هذا الغرض كما سنرى ذلك لاحقا.

٢. الفخر وأنواعه عند شعراء غرب إفريقيا

إن الفخر في منطقة غرب إفريقيا لا يختلف عما انتهجه الشعراء الجاهليون والإسلاميون سوى في الأساليب التي يستوحيها شعراء الأفارقة من بيئاتهم الإفريقية أو فيما تفرضه عليهم بنات أفكارهم الخاضعة للأحداث التي يعيشونها. ولهذا سنرى فيما سيأتي أنهم تغنوا بغرض الفخر في كثير من الأنواع التي تناولها من سبقهم من شعراء العرب. غير أن الشيء الذي ينبغي القول به هو أنهم في هذا الفن تأثروا إلى حد كبير بالشعراء الإسلاميين. ولا غرو في ذلك إذ الأدب العربي لم يجد طريقه إلى غرب إفريقيا إلا بفضل الإسلام الذي من أجله قام أهل المنطقة بالاهتمام باللغة العربية وآدابها. ولهذا كان معظم قصائد الفخر التي قرضها شعراء المنطقة تظهر عليها بصمات دينية واضحة وضوح الشمس.

لقد حصر بعض النقاد الأفارقة قصائد الفخر للمنطقة في نوعين أحدهما الفخر الصوفي الذي بمثابة الفخر الديني، والآخر هو الفخر الفني الذي يقصدون به ذلك الفخر الذي تحرر من صورته التقليدية الصوفية.[17] ولكننا في هذه الدراسة سنقسم الفخر إلى تقسيمات مغايرة لهذين النوعين نراها أنها أكثر تفصيلا وشمولا لما احتوتها قصائد الفخر للمنطقة. وبعد دراسة مستفيضةٍ قدر الاستطاعة حول هذا الغرض عند شعراء المنطقة قسّمنا قصائد الفخر إلى ثلاثة أقسام رئيسية آتية:

٢,١. الفخر الذاتي

اتَّجه بعض شعراء الأفارقة إلى تقليد الشاعر العربي الجاهلي في الفخر، فافتخروا بشاعريتهم وأخلاقهم وشجاعتهم وفروسيتهم. فأما الذين افتخروا بشاعريتهم فمنهم الشاعر عثمان كُوصَ[18] الذي في قصيدته الميمية يقول مبيِّنا بخضوع الشعر والقوافي له، وأنه يلعب بالشعر كيف يشاء من دون تكلّف ولا تعسّف: [الكامل]

وَلَعِبْتُ فِي شِعْرِي بِمَدْحِ مُحَمَّدٍ والعُرْبُ تَلْعَبُ بِالْكَلَامِ وَتَفْخَرُ
وَالشِّعْرُ مَلَّكَنِي الْإِلَهُ زِمامَهُ مَهْمَا أَشَأْ تَفْعِيلَهُ يَتَيَسَّرُ
وَلَوَ انَّ مَعْرِفَةَ امْرُئٍ لُغَةَ الْعَرَبْ تُعْلِي لَيُرْفَعُ لِي عَلَيْهِمْ مِنْبَرُ[19]

والشاعر الماليُّ الملّقب بـ«الأديب التِّمْبُكْتِي»[20] يفتخر بشاعريته قائلا: [الوافر]

وَلَوْلَا الشِّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يَزْرِي وَقَوْلُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي السَّرِيِّ
لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرُ مِنْ لُبَيْدٍ وَمِنْ غَيْلَانَ بَلْ وَأَبِي عَدِيِّ
وَمِنْ خَنْسَاءَ صَخْرٍ وَابْنِ حَجْرٍ وَجِئْتُكَ بِالْبَطِيطِ وَبِالْبَدِيِّ[21]

لمّا كان الفخر صفة تتميز بالمبالغة نجد الشاعر في هذه الأبيات يبالغ في الافتخار بشاعريته، فيرى نفسه أنه أشعر من شعراء العرب الجاهليين فضلا عن شعراء زمانه الذين يوجه إليهم هذا الخطاب المشموم فيه رائحة العتاب الخفيف على من استعلى بشاعريته وفصاحته على الشاعر. فلذا يرد عليهم الشاعر قائلا: «لا تظنُّوا بأنَّ تَرْكِي القولَ بالشعر وانسحابي من ميدانه سببُه عدم كفاءتي، بل لو أردت ذلك لكنت أشعر الشعراء العرب الخُلَّص، ولجئت بأشعار عجيبة مبدعة لم يقلها منْ سلَف مِن الشعراء. ولكنني صفَحتُ عن قرض الشعر لأنه لا يليق بعالم جليل، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**الشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ**﴾[22]

إن بعض شعراء المنطقة أضافوا شيئا جديدا في هذا النوع حيث نراهم يفتخرون بعلمهم على وجه العموم مثل الشاعر الكبير

16 - ابن برد، ديوانه، 10.
17 - كبا عمران، الشعر العربي في غرب إفريقيا، (الرباط: إيسيسكو، 2011)، 2/523.
18 - هو الشاعر المفلق والأديب البليغ غيني الجنسية، له قصائد عدة جمعها محمد الأمين جابي في كتابه «روائع آل كَرمُخوبا»، توفي رحمه الله عام 1927. انظر: روائع آل كَرمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م، (غينيا، مخطوطة، في مكتبة المؤلف الخاصة)، 124.
19 - جابي، روائع آل كَرمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م، 178.
20 - هو ابن حوّد الأنصاري من أدباء القرن العشرين المشهورين في مدينة تمبكتو.
21 - عمران، الشعر العربي في غرب إفريقيا، 2/531.
22 - الشعراء، 26/224-226.

الغينـي كَـرَنْ سَـنْكُنْ جـابي (ت. ١٩٢٦م)[٢٣]: [الطويـل]

وَمَا العِلْمُ وَالعِرْفَانُ إِلاَّ بِقَبْضَتِـي ... تَفَسَّخَ عَمَّا شَدَّ ظَهْرِي السَّوَابِقُ
سَلُونِـي فُنُونًا شَطَّ عَنْكُمْ مَزَارُهَا ... وَلَا غَرْوَ فَالْمَوْلَى لَدَيْهِ الرَّقَائِقُ[٢٤]

تباهـى الشـاعر هنـا وادّعـى بمعرفتـه فنـونَ العلـوم سـواء أكان في الشـعر أم في علـم مـن العلـوم الإسـلامية، فلـم يحـدِّد لنـا في فخـره هـذا عِلـما مُعيّنـا. وهـذا عكـس مـا نـراه عنـد الشـاعر السـنغالي الشـيخ أحمـد بَمْبَـا[٢٥] حيـثُ افتخـر بعلـم الفقـه، وأنـه شـخص جمـع اللـه فيـه فقـه المذاهـب الأربعـة. فقـال في قصيـدة طرزهـا بحـروف قولـه تعـالى: ﴿وَيَخْلُـقُ مَـا لَا تَعْلَمُـونَ﴾[٢٦]: [الرجـز]

وَرَّثْتَنِـي فِقْهَ الْإِمَامِ مَالِكِ ... عَلَيْهِ رِضْوَانُ الْكَرِيـمِ الْمَالِكِ
نَفَعْتَنِـي لِـي كُنْتَ بِالْمَنَافِعِ ... وَقُدْتَ لِـي فِقْهَ الْإِمَامِ الشَّافِعِـي
وَجَّهْتَ لِـي مِنْكَ مُنًـى لَطِيفَةً ... وَقُدْتَ لِـي فِقْهَ أَبِـي حَنِيفَةْ
يا خَيْرَ قَائِدٍ حَـمِيدٍ حُـمِداَ ... قَدْ قُدْتَ فِقْهَ الْإِمَامِ أَحْـمَدَا[٢٧]

وأمـا الشـاعر السـنغالي عبـاس سَـلْ[٢٨] فنجـده أنـه قـد ذهـب إلى أبْعـدَ مـن ذلـك، حيـث افتخـر بوصولـه إلى علـم اليقـين الـذي ليـس كل مـن حصـل عـلى العلـم يصـل إلى هـذه المرتبـة. لكنـه قـد مـنّ اللـه عليـه بهـذه الدرجـة وخصّـه بهـا، فيقـول: [الرجـز]

شَرِبْتُ مَا صَفَا مِنْ أَبْحُرِ الْيَقِينِ ... بِالْعِلْمِ وَالْعَيْنِ وَبِالْحَقِّ الْمُبِينِ[٢٩]

وإذا تعرَّجنا إلى الشعراء الماليين نجد الشاعر محمداً البشيرَ غَاوُ[٣٠] يفتخر ببعض النِّعَم الخُلقية التي كرّمه الله بها عن غيره: [الوافر]

حَمِدْتُ اللهَ نَقَّانِي نَقَاءً ... مِنَ الْحَسَدِ الْمُذَمَّمِ الْعَدَاوَهْ
بِقَلْبِي لَيْسَ مِنْ حَسَدٍ لِأَحْدٍ ... وَلَوْ حَازَ الْفَضِيلَةَ وَالطَّلَاوَهْ
وَأَخْرَجَ مِنْ فُؤَادِي حُبَّ دُنْيَا ... وَسُؤْدُدَهَا وَصُحْبَةَ ذِي غَبَاوَهْ[٣١]

عَـدَّد الشـاعر في هـذه الأبيـات الثلاثـة بعـض الأخـلاق مثـل صفـاء القلـب مـن الحسـد وشـهوات الدنيـا، وعـدم مرافقـة الأصدقـاء الأشرار. وهـذه الصفـات ليـس كل واحـد يُوفَّـق بهـا، لكـنَّ اللـه ذا القـدرة والجـلال وفَّقـه بهـذه الصفـات التـي هـي نِعَـم ينبغـي التحـدُّث بهـا وَفْـق قـول اللـه تعـالى: ﴿وَأَمَّـا بِنِعْمَـةِ رَبِّـكَ فَحَـدِّثْ﴾[٣٢]

وهنـاك الآخَـرون مـن الشـعراء مَـن افتخـروا بشـجاعتهم وقوّتهـم الجسـدية، مثـل الشـاعر السـنغالي المرحـوم محمـد الهـادي تُـورى (ت. ١٩٧٩)[٣٣] إذْ يقـول: [الكامـل]

صَعْبٌ مُصَارَعَتِـي وَمُرٌّ مِلْعَقِي ... سَلْ ذَائِقِي يُـخْبِرْكَ بِالْمُتَحَقَّقِ
لَا يُنْكِرُ الْأَقْرَانُ بَطْشِي فِـي الْوَغَى ... بَلْ بَعْضُهُمْ عَنِّـي بِبَعْضٍ يَتَّقِي
سَيْفِي خَفِيرُ الْمَوْتِ وَهْوَ رَأَيْتُمُو ... ـهُ مُـمَزِّقَ الْأَشْخَاصِ كُلَّ مُـمَزَّقِ[٣٤]

تُذكِّرنـا هـذه الأبيـاتُ القصائـدَ العنتريـةَ التـي يفتخـر فيهـا عنـترة ببطولتـه وفروسـيته الحربيـة،[٣٥] إذْ سـلك الشـاعر الإفريقـي في هـذه الأبيـات منهـج هـذا الشـاعر الجاهـلي معنـى ووزنـا، فأظهـر شـخصيته الفروسـية، وأنّ سـيفه مثـل ملـك المـوت، فـلا يحـلُّ عـلى شـخص إلا وقـد قـضى عليـه. فيقـول للشـاكِّ في بسـالته: فليسـأَلْ مـن قاتلـه وحاربـه فإنـه سـيخبره مـن هـو أنـا وكيـف كانـت بطشـتي وإقدامـي.

23 - محمـد التسـليمي بـن عبـد القـادر بـن محمـد التسـليمي بـن سـالم كرامخوبـا، ولـد في مدينـة طوبـى بغينيـا عـام 1860م، وهـو شـاعر وعالـم صوفـي، لـه أشـعار تتـردد بيـن شـعر الوجـدان وشـعر المناسـبات، إذ مـدح شـيوخه ورثـى بعضًـا منهـم. وقـد تأثـر جـدا في شـعره بشـعراء العصـر الجاهلـي مـع حفاظـه عـلى جزالـة اللفـظ وحسـن السـبك ومتانـة التركيـب. ولفصاحتـه لقـب بأصمعـي إفريقيـا. انظـر: https://www.almoajam.org/lists/inner/5617، تاريـخ التصفـح: (16/03/2021)

24 - جابي، روائع آل كَرَمُخوبا في فوتا طوبى ما بين *1805-2007*م، 174.

25 - هـو الشـاعر والفقيـه الـذي أسّـس الطريقـة المريديـة المشـهورة في المنطقـة وخاصـة في السـنغال. للشـيخ قصائـد مسـتفيضة في كثيـر مـن الأغـراض الشـعريّة. توفـي رحمـه اللـه عـام 1927. انظـر: عامـر صمـب، الأدب السـنغالي العربـي، (الجزائـر: الشـركة الوطنيـة، 1978)، 1/211.

26 - النحل، 16/8

27 - أحمد بمبا، «قصيدة ويخلق ما لا يعملون» http://khassidaenpdf.free.fr/khassida_pdf/Wa%20yakhlukhu%20maalaa%20tahlamouna.pdf

28 - شاعر له قصائد عدة إضافة إلى ديوان له في المديح النبوي، توفي عام 1990. للتفصيل انظر: صمب، الأدب السنغالي العربي 2/218.

29 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/524.

30 - شاعر مالي من شعراء القرن العشرين، له ما يقارب 892 بيتا نظمه في أغراض مختلفة. انظر: عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 1/80.

31 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/525.

32 - الضحى، 93/11.

33 - هـو محمـد الهـادي بـن سـرنج فـاس بـن أحمـد سيسـي مـن أبنـاء مدينـة فـاس الواقعـة في السـنغال المولـود سـنة 1894. ورغـم مزاولتـه لمهنـة الفِلاحـة فإنـه لـم يضـرب الصفـح عـن العلـم والأدب، حيـث لـه قصائـد جمـة ومؤلفـات عديـدة في علـوم الشـريعة وخاصـة في علـم الحسـاب الفلكـي. انظـر: عامـر صمـب، الأدب السـنغالي العربـي، 2/100.

34 - عبد الصمد عبد الله محمد، الشعر العربي في غربي إفريقيا منذ الاستعمار- السنغال ونيجيريا-، (مكة: منشورات جامعة أم القرى، 1403هـ)، 326.

35 - انظر: ابن شداد، ديوانه.

٢,٢. الفخر الديني

كانت منطقة شمال إفريقيا هي البوابة الكبيرة التي بها دخل الإسلام إلى غرب إفريقيا، فنتج عن ذلك تأثر مسلمي غرب إفريقيا بالمغرب العربي الذي انتشر فيه الطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية. وهذا هو الملحوظ لدى شعراء القرن التاسع عشر الميلادي، حيث قلَّ أن نجد شاعرا لا ينتسب إلى الطريقة القادرية أو إلى الطريقة التيجانية المنتشرتين في المنطقة آنذاك. ولا يُستبْعَد هذا إذا عرفنا أن شعراءنا هم علماء المنطقة وفقهاؤها وزعماء الدين. ولما جاء القرن العشرون الميلادي تشعَّبت الأحزاب الدينية في المنطقة، فظهرت المريدية التي أسسها الشيخ أحمد بمبا في أوائل القرن العشرين، كما ظهرت في منتصف وأواخر هذا القرن السلفية والشيعية والإخوانية وغيرها. وإليكم الأحزاب الدينية التي وجدنا أن شعراء المنطقة انتسبوا إليها وافتخروا بها:

أولا: التيجانية

هذه الطريقة كانت هي الأكثر انتشارا في غرب إفريقيا منذ أن قام الشيخ الحاج عمر سعيد الفوتي الذي كان سببا هاما في انتشارها في المنطقة،[٣٦] مما سبّب تقهقر الطريقة القادرية التي كانت تعد أول طريقة صوفية اعتنقها أهل المنطقة قبل مجيء الحاج عمر سعيد الفوتي مؤسس الدولة الفلانية العُمَرية التيجانية في سنغمبيا[٣٧] ومُحارب دولة ماسنا الفلانية القادرية عندما وقعت بينهما خلافات فقهية حزبية.[٣٨]

ومن الشعراء الذين تناولوا هذا النوع من الفخر الشاعر السنغالي أحمد التجاني سِي[٣٩] صاحب قصيدة «نحن أولاد التجاني» التي يفتخر فيها بانتسابه إلى الطريقة التيجانية، والشيخ النيجيري[٤٠] القاضي كُنْتَ غُورَا[٤١] الذي يتباهى بانتسابه إلى هذه الطريقة عن طريق مدحه لشيخه إبراهيم انياس خليفة التيجانيين في المنطقة وقتئذ. فيقول الشاعر القاضي كُنْتَ غُورَا: [الطويل]

إِذَا اشْتَغَلَ الْعِبَادُ بِالْوِرْدِ إِنَّنِي ... بِمَدْحِ أَبِي إِسْحَاقَ دَهْرِي أَعْتَنِي
وَشَيْخِي أَبُو إِسْحَاقَ غَايَةُ مَطْلَبِي ... وَذَلِكَ صَمْصَامِي وَدِرْعِي وَمَأْمَنِي[٤٢]

نلاحظ هنا شدة دفاع الشاعر عن طريقته التيجانية، وارتباطه القوي بينه وبين شيخه التيجاني، وإظهار عاطفته الصادقة في مدح شيخه، وجعْل شيخه هو مطلبه حتى صار مدحه أفضل من الاشتغال بالأوراد.

وكذلك الشاعر السنغالي شيخ تجان غايْ (ت. ٢٠١١م)[٤٣] في إحدى قصيدته النونية سار على هذا الطراز نفسه، فافتخر بطريقته التيجانية الصوفية من خلال ردّه على الذين يعيبونه بانتسابه إلى هذه الطريقة: [الخفيف]

لَسْتُ إِلَّا مَعِيبًا بِيَقِينِي ... أَنَّ عَيْنَ الْيَقِينِ فِي ظِلِّ دِينِي
وَلَئِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا مِنْ صَلَاتِي ... أَوْ أَكُنْ فِي اسْتِغْفَارِنَا كَالْجَانِي
وَاسْتَوَى أَنَّنِي بِكُلِّ وُضُوحٍ ... أَرْتَضِي أَنْ أَمُوتَ فِي الْكُفْرَانِ[٤٤]

أكثر بعض شعراءُ المنطقة التيجانيون في أشعارهم الفخرية ذكر مراتبهم ومقاماتهم الصوفية، وعلى رأسهم الشاعر السنغالي الشيخ محمد الخليفة انْياس[٤٥] الذي افتخر بمقامه العالي في الطريقة قائلا: [البسيط]

يَا بِيضُ يَا سُودُ يَا عُرْبٌ وَيَا عَجَمُ ... فَاتُوا إِلَيَّ لِأَخْذِ الْوِرْدِ وَالدِّينِ
فَاتُوا إِلَيَّ بِأَمْوَالٍ وَأَنْفُسِكُمْ ... لِكَيْ تَفُوزُوا بِنَيْلِ الْفَتْحِ فِي الْحِينِ[٤٦]

نادى الشاعر النَّاس جميعا عربهم وعجمهم إلى أن يأتوا إليه حتى يأخذوا منه الدين الصافي، فعلَّق فوزهم على الانقياد بأوامره وأخذ

36 - لمعرفة مزيد من تاريخ الحاج عمر الفوتي انظر: Paul Marty, *Études sur l'Islam au Sénégal*, (Paris: Ernest Leroux, 1917),1/155-170

37 - سنغمبيا هي مصطلح يطلق على مناطق دولتي السنغال وغامبيا الحالية. إذ إن هذه المناطق كانت أرضا واحدة قبل الاستعمار الغربي.

38 - انظر، عمر سعيد الفوتي، سيف الحق المعتمد فيما وقع بين الشيخ عمر الفوتي وأحمد بن أحمد الماسني، مح: الهادي المبروك الدالي ومطير سعد غيث، (القاهرة: دار حميثرا للنشر والترجمة، 2018)، عدد الصفحة 114.

39 - ولد الشاعر أحمد التجاني سي المكتوم في مدينة سانْ لُوِي بالسنغال عام 1925، وكان خليفة الطريقة التيجانية الخامس في المنطقة، وله أشعار في أغراض عديدة. توفي سنة 2017. للاطلاع على حياته وشعره انظر: أبوبكر بن سليمان امبي، بعض ملتقطات من الإنتاج الشعري للسيد الشيخ أحمد التجاني سي المكتوم، (السنغال: د.ط، د.ت).

40 - إذا كان الشاعر من دولة النيجر نستخدم «النيجري»، وإذا كان من دولة نيجيريا نستخدم «النيجيري» للفرق بينهما.

41 - هو إبراهيم بن عبد الله أحد علماء نيجيريا، وكبار دُعاة الطريقة التيجانية. له قصائد تحتوي على ما يقارب 267 بيتا. انظر: عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 1/74.

42 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/527.

43 - عالم وشاعر بارع كرَّس حياته كله في الدفاع عن الطريقة التيجانية، وله ديوان شعري أسماه «من وحي الواقع».

44 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/526.

45 - شاعر سنغالي من زعماء الطريقة التيجانية، له قصائد عديدة منها ديوان الكبريت الأحمر في المدح، توفي رحمه الله سنة 1959.

46 - الخليفة الحاج محمد انياس، الكبريت الأحمر في مدائح القطب الأكبر (د.م، د.ط، د.ت)، 492.

الورد منه. ولا شك أننا نستشعر من خلال هذين البيتين الجوَّ الديني الذي يعيش فيه أفارقة الغرب الإفريقي، حيث إن كثيرا منهم وخاصة منْ كانت بضاعتُه مزجاة في العلم يرون أن الانتساب إلى شيخ معين وإطاعته وسيلة للنجاة في الدنيا والآخرة.

إذا كان الشاعر محمد الخليفة انْياس قد أطلق مقامه الديني إطلاقا بلا تقييد، فإن الشاعر النيجيري محمد الكبير بن محمد الثاني بَقِنْ رُوَا[47] يفتخر بكونه في دولته شيخ شيوخ زمانه، وقد بالغ في ذلك إذْ قال: [الطويل]

مُنِحْتُ زِمَامَ الْعِزِّ فَوْقَ مُعَاصِرِي ... أَنَا الْمَلِكُ الْأَعْلَى بِدُونِ تَلَفُّتِ
سُقِيتُ كُؤُوسَ السِّرِ ذَاتِي بِهَا امْتَلَأَتْ[48] ... أَرُشُّ بِهَا بَيْنَ الشُّيُوخِ وَفِتْيَةِ[49]

وأما الشيخ النيجيري أبوبكر عتيق (ت. ١٩٧٤م) [50] فقد أطنب في ذلك، إذ عثرنا له على ثلاث قصائد من "قلادة المرجان في رفع سلسلتي التجاني و"اللؤلؤ المنظوم في ذكر سندي إلى القطب المكتوم "و"منظومة التهاني في سندي المّتصل بالشيخ التجاني» يذكر فيها سلسلته وسنده الصوفي المتصل بالشيخ أحمد التجاني مؤسَّس الطريقة التِّجانية.[51]

ومنهم من يقتصر في فخره على أخلاقه الصوفية المتمثلة في الزهد عن الدنيا، كالشاعر الحاج منصور سِه القائل في لاميته: [الطويل]

تَغَافَلْتُ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ حِجًا ... وَلَكِنَّمَا دَأْبُ الْكِرَامِ التَّغَافُلُ
وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ عَزِيزَةً ... لَكُنْتُ كَمَنْ جَهْلًا عَلَيْهَا يُقَاتِلُ[52]

ثانيا: القادريّة

كما قلنا سابقا بأن الطريقة القادرية هي أقدم طريقة صوفية عرفتها المنطقة إلا أنها لم يكتب لها حظ الانتشار مثل الطريقة التيجانية التي عمّت جميع أرجاء المنطقة. ومع ذلك فقد وجدنا عند بعض الشعراء قصائد نظموها فخرا لانتسابهم إلى هذه الطريقة. فمن هؤلاء الشيخ الشاعر النيجيري محمد الناصر كَبَرَا (ت. ١٩٩٦م)[53] ممثّل الطريقة القادرية في نيجيريا. ففي قصيدته" نحن البزاة "يفتخر بالقادرية والمنتسبين إليها، كما أن له ديوانا مسمّى بـ «الديوان المبارك» الذي يبين فيه آداب الطريقة القادرية وفضائلها والمقامات التي وصل إليها في هذه الطريقة. فيقول في إحدى قصائده: [الطويل]

وَصَلْتُ إِلَى حَقِّ الْحَقِيقَةِ بِالْحَقِّ ... بَعِيدٌ مَقَامِي فِي حَقِيقَةِ حَقِّهِ
بِعِلْمٍ وَذَوْقٍ وَاكْتِشَافٍ مُحَقَّقٍ ... تَعَلَّمْتُ عِلْمَ الْجَمْعِ مِنْ قَبْلِ فَرْقِهِ
مَحَقْتُ نِظَامَ الْكَائِنَاتِ بِنَظْرَتِي ... وَأَفْنَيْتُهُ مِنْ بَعْدِ إِحْكَامِ سَحْقِهِ[54]

ادَّعى الشاعر في هذه الأبيات بوصوله إلى درجة علم اليقين في الطريقة القادرية، وأنه قد حِيزتْ له العلوم فأصبح ذا عينٍ بصيرة وصاحبَ نظام به يتوصل أتباع الطريقة القادرية إلى عين الحقيقة.

ثالثا: المريدية

إن الطريقة المريدية إحدى الطرق الصوفية التي ظهرت على مسرح الأحداث في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي (١٨٩٣م) على يد الشيخ أحمد بمبا في مدينة سنغالية أسسها هو نفسه فسماها «طوبى»[55] تفاؤلا بقوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[56]

وكان كلّ من يرأس الطّريقة شيخا بمثابة الخليفة العامّ للمريدين تختاره العائلة من بين أبناء الشّيخ الخديم مؤسّس الطّريقة، فيكون هذا الشيخ المختار هو المرجع الوحيد الذي يرجع إليه مريدو الطريقة.[57] يقول الشيخ أحمد بمبا في إحدى قصائده مبينا فيها

47 - عالم ولد سنة 1948 وتعلم على والده وعلى الشيخ أبي بكر عتيق عندما كان في مدينة كانو قبل انتقاله إلى مدينة كدونا. انظر: عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/527.

48 - فيه كسر وزني في لفظ «امتلأت» فالصحيح «امْتَلْأ» بالتذكير.

49 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/526.

50 - عالم وشاعر صوفي ولد في مدينة كاتسينا الواقعة في شمال غرب نيجيريا عام 1909. له قصائد مستفيضة في المدح والذبِّ عن الطريقة التيجانية.

51 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/526.

52 - المصدر نفسه، 2/526.

53 - الشيخ محمد الناصر بن محمد المختار بن محمد عالم متمكن في علم الشريعة واللغة وله قصائد مستفيضة. للمزيد انظر: ناصر يافث حسن، الشاعر الشيخ محمد ناصر كبر أنموذجاً للشعر العربي في نيجيريا، (رسالة ماجستير، جامعة الجزيرة 2015).

54 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 1/129.

55 - لمعرفة نبذة عن تاريخ مؤسس الطريقة انظر: صمب، الأدب السنغالي العربي، 2/214-303.

56 - الرعد، 13/29.

57 - للتوسع انظر: محمّد الأمين جُوبْ الدّغاني، إرواء النديم من عذب حب الخديم، مح: محمد شقرون، (طوبى: الإدارة العامة لمؤسسة الأزهر الإسلامية، د.ت.)؛ الشيخ محمد المرتضى

فوز كل من تعلَّق به وانتسب إلى طريقته: [الرجز]

فَازَ مُرِيدٌ قَادَهُ اللهُ إِلَي ... عَلَّقَ بِي وِيَحْظَى بِالأُلَى
فازَ مُرِيدٌ لَمْ يَمَلَّ مِنّي ... بِمَا بِهِ يَحوزُ خَيْرَ مَنٍّ
فَازَ مُرِيدٌ لَاذَ بِي بِمَا يَفُوقْ ... مَا ظَنَّهُ باللهِ جَارِيَ الرَّفِيقْ
كُلُّ مُرِيدٍ بِي يَلُوذُ يَسْعَدُ ... وَإِنَّهُ مِنَ الأَذَى مُبَعَّدُ[58]

في طيِّ هذه القصيدة مبالغات ظاهرة تجعل الشيخ يرى نفسه المرجع الديني لكل من يريد النجاة في الحياة الدنيا والآخرة. وقد تجرَّأ الشيخ إلى القول بهذا، لأنه جعل نفسه خديمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونائبه، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام هو أمرَه بتربية أصحابه، فقال مفتخرا بذلك في هذه القصيدة الآتية: [الرجز]

أَمَرَهُ صَلَّى عَلَيْه اللهُ ... فِي الآل والصَّحْبِ ومَنْ وَالَاهُ
بِأَنْ يُعَلِّمَ المُرِيدِينَ ومَنْ ... يَقْبَلُ مِنْهُ النُّصْحَ مِنْ أَهْلِ الزَّمَنْ[59]

بل يرى الشيخ بأن مؤمني جنّ عصره أيضا لا يمكن نجاتهم إلا إذا تعلقوا به وسلكوا منهجه التربوي: [الرجز]

بِي تَعَلَّقَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ... مِنْ جِنِّ عَصْرِي دُونَ مَنْ لَمْ يُسْلِمُوا[60]

رابعا: السَّلفية

حينما كانت الطرق الصوفية تتمتع بمكانها الرفيعة ومذهبها المالكي في منطقة غرب إفريقيا، ظهرت في أواخر القرن العشرين الميلادي تيارات جديدة منها التيار السلفي الذي منهجه ضد الطرق الصوفية، وتوجّهاته مركزة على الالتزام بالعودة إلى إسلام النصّ الحرفي. وأغلب من تبَنَّى هذا النَّهج هم أولئك الأفارقة الذين تلقوا تعليمهم في المراكز السلفية والجامعات من دول الجزيرة العربية. وقد كان هؤلاء يُهَيَّؤُون نفسيا وذهنيا ضدّ الصّوفيّة والعادات المجتمعية التي تعد سمات بارزة لمسلمي غرب إفريقيا. فصنع هؤلاء الخريجون في الجامعات الخليجية منابر جديدة ليهاجموا على العلماء المتصوِّفة وينزعوا العادات والأعراف المحلية عن إسلام إفريقيا.[61] وقد عكست هذه التوجهات السّلفيّة على الأدب الإفريقي الإسلامي حيث كان بعض شعراء غرب إفريقيا، يفتخرون بانتمائهم إلى هذا التيَّار في قصائدهم. فمن هؤلاء الشاعر السنغالي أحمد جَى[62] الذي يفتخر بسلَفِيَّته من خلال رده على الذين يعاتبونه بعدم انتسابه إلى أيّ طريقة من الطرق الصوفية قائلا: [الكامل]

لاَ أَخْدُمَنْ، لَا أَزْرَعَنْ، لَا أُهْدِيَنْ ... لِشُيُوخِ فَلْسٍ عَسْجَدٍ وَرِعَائِي
وَهَلِ التَّصَوُّفُ سُنَّةٌ يَا صَاحِبِي ... وَهَلِ الطَّرِيقَةُ مَنْهَجُ الْخُلَفَاءِ
فَلَقَدْ كَفَتْنِي سُنَّةُ الْمُخْتَارِ بَعْـ ... ـدَ كِتَابِ خَالِقِنَا بِلَا إِنْشَاءِ[63]

نلاحظ هنا أن الشاعر في هذه الأبيات من خلال مهاجمته للطرق الصوفية قد بيّن عادة من العادات التي ما زالت جارية في المنطقة، وذلك أن المنتسبين إلى الطرق الصوفية وخاصة طلبة العلم منهم يصبحون خدَمَة لشيوخهم، فيكونون هم الذين يتولون بحرث مزروعات الشيوخ وسقيها وحصادها طلباً لبركتهم ومساعدةً لهم. لذلك يرد الشاعر على هؤلاء الصوفيين بأنه لا يخدم ولا يزرع ولا يقدِّم أيّة هدية لمشايخ عدلوا عن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس همهم إلا الدينار والدرهم.

خامسا: الشيعية

إن المجتمع الإفريقي الغربي ما كان يعرف الشيعيّةَ إلا في هذه الآونة الأخيرة التي انتشرت في المنطقة بشكل ملحوظ. وقد بدأت إرصاهات هذا التيار في أواخر القرن التاسع عشر من بعض الجاليات اللبنانية الشيعية المهاجرة إلى المنطقة قصدا للتجارة[64] إلا أن تأثير

مباكي شيخ فاط فال، المريدية: الحقيقة والواقع وآفاق المستقبل، (طوبى: الإدارة العامة لمؤسسة الأزهر الإسلامية، 2011).

58 - الدّغاني، إرواء النديم من عذب حب الخديم، 67.

59 - المصدر نفسه، 65.

60 - المصدر نفسه، 67.

61 - انظر: أميدو ساي، الخطابات السلفيّة والجهادية: بوكو حرام وشبكات الإرهاب الصاعدة في الغرب الإفريقي المسلم، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1438هـ)، 16.

62 - هو عالم وأديب تبحر في العلوم الشرعية واللغوية، ولد عام 1934، وله دواوين ثلاثة مخطوطة لم أتمكن الحصول عليها، وهي: «نيل السول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم" و"بواكير الأشعار في مختلف المواقف والأفكار" و"جهاد الشاعر بقلم الثائر". انظر: عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 1/77.

63 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 1/358.

64 - انظر: فرهاد دفتري وغيره، العالم الشيعي: طرائق في التقليد والحداثة، تر: سيف الدين القصير، (لندن: دار الساقي، 2018)، 345.

هـؤلاء التجـار اللبنانيـين عـلى المجتمـع الإفريقـي كان ضئيـلا جـدا، إلى أن قامـت في السـبعينيات مـن القـرن العشريـن الثـورة الإيرانيـة الخمينيـة التـي ركـزت بعـد ذلـك عـلى الـدول الإفريقيـة لنـشر مذهبهـا الشـيعي فيهـا.[٦٥] وقـد تأثـر بعـض شـعراء المنطقـة بالفكـر الشـيعي، فانتسـبوا إليـه، ودافعـوا عنـه مفتخريـن بـه. فمـن هـؤلاء الشـاعر المـالي أبـو جعفـر محمـد جبـاتي[٦٦] الـذي نجـده في قصيدتـه الرائيـة يفتخـر بشـيعيّته ويذكـر بـأن التشـيّع مـا هـو إلا نعمـة إلهيـة مَنَّهـا اللـه عليـه :[الطويـل]

تَجَعْفَرْتُ فَضْلًا مِنْ إِلَهِي وَأَشْكُرُ ... بِحَمْدٍ مُكَبِّرٍ مَدَى الدَّهْرِ أَذْكُرُ[٦٧]

نجـد لـدى بعـض الشـعراء مـن يفتخـر بعقيدتـه الإسـلامية مـن دون أن ينحـاز إلى أيّـة طائفـة أو جماعـة إسـلامية معينـة، كمثـل الشـاعر النيجـري أحمـد محمـد شـفيع[٦٨] المفتخـر بدينـه الإسـلامي لكونـه ديناً وحّـد قبائـل الأمـة الإفريقيـة وأسّـس أركان ثقافتهـا: [البسـيط]

ثَـقَـافَةٌ رَكَّزَ الْإِسْـلَامُ بُـنْيَتَهَا ... فَأَصْبَحَتْ مَشْعَلاً يَهْدِي حَضَارَتَنَا
أَنْـقَذَتْ مِـنْ ظَلَامِ الْجَهْلِ أُمَّتَنَا ... وَمَـثَّلَتْ مِـحْوَراً صَلْباً لِوِحْدَتِنَا[٦٩]

٢,٣. الفخر القبلي

بالرغـم مـن أهميـة القبيلـة في المجتمـع الإفريقـي، فـإن الشـعراء لم يهتمـوا بهـا في قصائدهـم الفخريـة كـما اهتمـوا بالفخـر بالديـن. ولذلـك - كـما رأينـا فيـما تقـدَّم- أنهـم كانـوا يفتخـرون بطوائفهـم الدينيـة التـي ينتسـبون إليهـا أكـثر مـن افتخارهـم بقبائلهـم وأنسـابهم. وإذا كانـوا لا يجـدون بـدًّا سـوى الافتخـار بقبائلهـم نراهـم غالبـا مـا يكونـون مفتخريـن بأجدادهـم في إطـار صـورة إسـلامية لا في صـورة قبليـة محضـة؛ حيـث كانـوا يربطـون أمجـاد قبائلهـم بالعلـم والتقـوى والصـلاح والخلـق الطيـب. والمثـال عـلى ذلـك قصيـدة الشـاعر الكبـير كَرِمْبَـا ماصِمْبِـي جـابي[٧٠] التـي يفتخـر فيهـا بقبيلتـه قائـلا: [الطويـل]

أَنَا ابْنُ حُـمَاةِ الدِّينِ مِنْ آلِ سَالِـمٍ ... وَهُمْ فِـي مَـجَالِ الدِّينِ لِلنَّاسِ أَنْـجُمُ
هُدَاةٌ غَطَارِيفٌ سُرَاةٌ أَئِمَّةٌ ... غَضَافِرُ كُلٌّ فِـي السَّخَاوَةِ عَيْلَمُ
أُولَئِكَ آبَائِـي فَمَنْ لِـي بِـمِثْلِهِمْ ... سِنًا وَسَنَاءً إِنَّ ذَلِكَ مُعْدَمُ[٧١]

افتخـر الشـاعر الغينـي بنسـبه آل سـالم في صـورة إسـلامية، فوصفهـم بأنهـم المرجـع الدينـي الـذي إليـه يرجـع النـاس في الاسـتفتاء، كـما وصفهـم أيضـا بأنهـم قـوم اشـتهروا بالكـرم والسـخاء، فـلا يـأتي نزيـل أو ضيـف إلا وقـد نـال مـن فيـض كرمهـم، واغـترف غرفـة مـن نهـر سـخائهم. ولهـذا نـرى الشـاعر في البيـت الأخـير تحـدى كل مـن ادّعـى هـذه الصفـات لقبيلتـه بأنـه لا يوجـد نسـب مثـل نسـبه في الكـرم والسـخاء والتقـوى والعلـم والصـلاح.

وأمـا الشـاعر النيجـيري عبـد العزيـز محمـد[٧٢] فقـد افتخـر في قصيدتـه النونيـة بأجـداده العلـماء في أسـلوب لا يشـك القـارئ في قـوة تعبـيره ورصانـة أفـكاره: [الكامـل]

أَجْدَادُنَا آبَاؤُنَا سَلْ مَنْ تَرَى ... حَلُّوا صُدُورَ الْقَوْمِ بِالْعِرْفَانِ
عَرَفَتْهُمُ لُغَةُ قُرَيْشٍ أَنَّهُمْ ... أَنْصَارُهَا بِلِسَانِهِمْ وَبَنَانِ[٧٣]

فبـدلا مـن أن يَفتخـر الشّـاعر بلغـة قومـه نـراه هنـا يعتـزُّ بأجـداده لِكَوْنِهـم أنصـارَ اللُّغـة العربيـة وحُماتهـا، ولا شـكّ أن الشّـاعرَ لم يحملـه شيء عـلى القـول بهـذا سـوى اعتـزازه بدينـه الـذي يتوقَّـف فهمـه عـلى الإحاطـة باللّغـة العربيّـة.

وعنـد بعـض الشـعراء الذيـن يحسـبون أنفسَـهم مـن أحفـاد النبـيِّ عليـه الصَّـلاة والسـلام الافتخـارُ بالنسـب الشَّريـف المحـض، مثـل الشـاعر النِّيجـر الطارقِـيّ محمـود السُّـوقي[٧٤] الـذي في إحـدى قصائـده الداليـة يفتخـر فيهـا بنَسَـبِه الشريـف المتسلسـل إلى سـيّدنا عـلِّي رضي اللـه عنـه.

---

65 - انظـر، أحمـد موصللـي، موسـوعة الحـركات الإسـلامية في الوطـن العربـي وإيـران وتركيـا، (بيـروت: مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، 2004)، 20؛ بـدر حسـن شـافعي، الـدور الإيراني في أفريقيـا، (القاهـرة: المعهـد المصـري للدراسـات، 2020).

66 - شاعر وإمام وخطيب مشهور بشيعيته في أرض مالي.

67 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/530.

68 - هو من الشعراء المعروفين المنحدرين من منطقة شمال النيجر.

69 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/880.

70 - ولـد الشـاعر 1946م ببلـدة ماصمبـي بجمهوريـة غامبيـا إلا أنـه غينـي الأصـل، لـذا يفتخـر في هـذه القصيـدة بأجـداده الموجوديـن في غينيـا. ويعتبـر شـعره مـن أحسـن الشـعر رقـة وعذوبـة، وأبعـده مـن التوعـر والتكلـف، ويمتـاز بدقـة التعبـير، وحسـن الوصـف، وسلاسـة الأسـلوب، والبعـد عـن التكلـف، ويجـري الشـعر عـلى يديـه كالمـاء الـزلال في الجـداول. انظـر: جابـي، روائـع آل كَرَمُخوبـا في فوتـا طوبـى مـا بيـن *1805-2007*م، 354.

71 - جابي، روائع آل كَرَمُخوبا في فوتا طوبى ما بين *1805-2007*م، 118.

72 - لم أقف على ترجمته.

73 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/529.

74 - لم أقف على ترجمته.

فقال مبتدئا بنفسه: [الكامل]

فَأَنَا مُحَمَّدُ نَجْلُ أَحْمَدَ رَكبت مُرجِيهِ مِنْ قَبْلِهَا بِمُحَمَّدِ

إلى أن ختم بهذين البيتين قائلا:

حَسَنٌ سَلِيلُ عَلِيِّ ابْنِ مُحَمَّدٍ وَهُنَّ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرَ أَحْمَدِ
وَانْسِبْهُ لِلْحَسَنِ بْنِ سِبْطِ الْمُصْطَفَى الْحَسَنُ بْنُ حَيْدَرَةِ الْإِمَامِ السَّيِّدِ[٧٥]

إن الشاعر الغيني الحاج مختار الكبير (ت. ١٩٥٧م)[٧٦] والشاعر السِّنغالي عامر صمب (ت. ١٩٨٧م)[٧٧] ينحيان منحى آخر في قصائدهما الفخرية حيث نجدهما يفتخران بمنطقتيهما اللّتين نشآ فيهما لا بقبيلتهما. فيقول الشاعر الحاج مختار الكبير مفتخرا بكون مدينته طوبي منبعَ العلم وقبلةَ طلاب غرب إفريقيا: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ فِي الْغَرْبِ[٧٨] الْمَدَارِسَ كُلَّهَا فَطُوبَى لَهَا أَصْلٌ وَنُورٌ وَمَنْبَعٌ[٧٩]

وأما الشاعر عامر صمب فإنه يقول معتزّا بمدينته كِبِيمِرْ وشبابِها معاً: [المتقارب]

فَنَحْنُ الشَّبَابُ رَجَاءُ الْأُمَمْ وَكُلٌّ مِنَ الْجَمْعِ عَالِي الْهِمَمْ
وَلَوْ كَانَتِ الْجَنَّةُ فِي الدُّنْيَا[٨٠] لَكَانَتْ كِبِيمِرْ فَقُولُوا نَعَمْ[٨١]

وعلى هذا المنوال انتهج الشاعران هما الشيخ محمد الذكي كوليبالي المالِيّ صاحب قصيدة افتخر فيها بمدينته «فانا» والشاعر النيجيري عبد الباقي شعيب أغاكا صاحب قصيدة همزية افتخر فيها بشباب وطنه الذين يَعُدُّهم جنود الأمل والمستقبل.[٨٢]

والشاعر الغيني الحاج عبد الرحمن باه (ت. ٢٠١٢م)[٨٣]، الذي يكاد يتحرر من لزوم القافية في قصيدته التي نظمها فخرا بوطنه، حيث جعل بعض قوافي القصيدة منتهية بحرف الدال وبعضها منتهية بحرف الميم، ولعل سبب سلوك الشاعر هذا المسلك هو الإشارة إلى تحرر بلاده من أيادي المستعمرين: [مجزوء الرمل]

وَطَنِي أَنْتَ مُرَادِي أَنْتَ فَخْرِي وَعِتَادِي
أَنْتَ عَيْنِي وَفُؤَادِي أَنَا فِيكَ الْمُسْتَهَامُ[٨٤]

إذا كان من سبَق ذكرهم افتخروا بمدنهم أو بمناطقهم التي يعيشون فيها في غرب إفريقيا، فإنَّ هناك من الشّعراء من أبدَى فخره واعتزازه بأفريقيا كقارة وبتراثها الإسلامي. فمن هؤلاء الشعراء الغامبي محمد الإمام غساما[٨٥] المفتخر بتراث قارة إفريقيا من خلال ذكره لِمَا بناه أجداده من المجد والشأن فقال: [الكامل]

أَسْلَافُنَا رُوَّادُ كُلِّ تَقَدُّمٍ نَحْنُ لَأَعْرَقُ مَشْعَرٍ أَبْنَاءُ[٨٦]

ثم جاء الشاعر السنغالي تجان غايْ ليتنفَّس نفَساً طويلا في الاعتزاز بالقارة حيث أطنب في ذكر ما شيّده أجداده من الإمبراطوريات الإسلامية في القارة وخاصة في غرب إفريقيا، والبطولات التي قاموا بها ضدّ المستعمرين الأوروبيين: [الوافر]

75 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 1/342.

76 - شاعر كبير له باع في اللغة العربية نابغ في الشعر، فاشتهر في المنطقة بقصائده التي سارتْ بها الركبان، واستخدم فيها من المعاجم اللغوية ما يدل على ضلوعه في الشعر. انظر: جابي، روائع آل كَرمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م،

77 - فهو صاحب كتاب الأدب السنغالي العربي الذي لا يستغني عنه طلاب غرب أفريقيا المستعربين وخاصة السنغاليين لما حوى الكتاب من درر نفيسة قيمة وله قصائد متفرقة.

78 - يقصد الشاعر بالغرب هنا منطقةَ غرب إفريقيا كما هو عادة بعض شعراء المنطقة القدامى وخاصة عند شعراء غينيا. انظر كتاب «روائع آل كَرمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م»، فستجد فيه الكثير من هذا القَبيل.

79 - جابي، روائع آل كَرمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م، 265. 242-234.

80 - فيه كسر وزني

81 - صمب، الأدب السنغالي العربي، 1/234.

82 - انظر: عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/530.

83 - عالم وشاعر له تقريبا ثلاثة دواوين في مختلف الأغراض.

84 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/764.

85 - شاعر معاصر متقن اللغتين العربية والإنجليزية وله مؤلفات عديدة في هاتين اللغتين. وقد اشتهر في مجال الشعر بديوانه المسمى بِـ»بنات القريحة».

86 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/528.

وَمَا الْأَجْدَادُ قَدْ شَادُوا بِغَانَا هُوَ الْمَجْدُ التَّلِيدُ هُوَ الْمَعِينُ
وَمَا شَادُوهُ فِي (مَالِي) قَدِيمًا وَفِي (سِنْغَامِبيَا) رُكْنٌ رَكِينُ
وَمَا لِـ(بِنِينَ) مِنْ مَثَلٍ مُسَاوٍ لَهَا، هَلْ أَنْتَ تُدْرِكُ مَا (بِنِينُ)؟
جُدُودٌ كَالْأُسُودِ لَنَا تَصَدَّوْا لِغَازٍ قَصْدُهُ شَرٌّ يَبِينُ[87]

وللباحث في هذا النوع من الفخر قصيدة يشارك فيها الشاعر تجان غاي في الافتخار بالقارة السمراء التي هي أرض أبناءٍ قاوموا الاستعمار الغربي وأقاموا دولاً إسلامية في القارة. فيقول في أبيات للقصيدة: [الكامل]

أَوَلَمْ تَكُونِي أرضَ قَومٍ حَرَّرُو كِ مِنَ الطُّغَاةِ الظَّالِمِينَ وَطَهَّرُوا
بِنُفُوسِهِمْ فَادَوْكِ لَمْ يَتَقَهْقَرُوا فَالنَّصْرُ فِي سُفُنِ الدِّمَا يَتَبَحَّرُ
إِنْ بِالْأُبُوَّةِ أَصْبَحَتْ تَتَفَخَّرُ بَاقِي الْعَوَالِمِ أَنْتِ أُمٌّ جَوْهَرُ
أَنْجَبْتِ قَوْمًا لِلْمُقَاوَمَةِ اشْتَرَوْا أُخْرَاهُمُ بِدُنَاهُمُ فَاسْتُبْشِرُوا
لَمْ يَتْرُكُوا فُرَصًا لِبَاغٍ يَفْجُرُ بَلْ تَوَّجُوهُ بِتَاجِ نَارٍ تُسْعِرُ
لِإِقَامَةِ الْإِسْلَامِ كَانُوا كَبَّرُوا اللهُ أَكْبَرُ فِي الْوَغَى لَمْ يُدْبِرُوا
أَقْلَامُهُمْ أَجْلَتْ عُقُولًا تَقْذَرُ وَسِلَاحُهُمْ قَطَعَتْ يَدًا تَسْتَعْمِرُ
كَانُوا أُسُودًا أَيْنَمَا يَتَزَأَّرُوا خَضَعَ الْعَدُوُّ وَقَالَ أَيْنَ أَوَامِرُ[88]

وأما الشاعر محمد الأمين عاج (ت. ١٩٩٤م)[89] في قصيدته المسمى بـ»صدى التاريخ» فنراه أيضا يفتخر بأبطال القارة من خلال سرده لما قاموا به منْ نِضَال وكِفاح منْ أجْل الحرِّيةِ، فقال ذاكرا بأن هؤلاء الأبطال هم قلة في هذا الزمان: [البسيط]

تَمْضِي الْعُصُورُ وَمَا جَادَ الزَّمَانُ بِهَا بِمِثْلِهِمْ، إِنَّهُمْ فِي وَقْتِنَا نَزْرُ[90]

تَخطَّى بعض الشعراء الأفارقة الافتخار بقارة إفريقيا إلى الافتخار بالعالم الإسلامي، ولا غرو في ذلك لأننا قد قلنا بأن محرِّكَ شعراء المنطقة إلى أن يعتزوا بأنسابهم هو اهتمام أجدادهم بالدين ومحافظتهم له علما وعمَلا. ولعل الشاعر الغيني محمد الأمين جابي يُعَدُّ في هذا الموضوع مَنِ انفرد بهذا النوع، فافتخر بالعالم الإسلامي وما حققته الأمة الإسلامية للبشرية جمعاء من إنجازات علمية. فهاكم بعض الأبيات من قصيدته المسمى بـ»الهويّة المفقودة» التي مزج فيها بين التحسر والفخر بهذه الأمجاد التي لم تعُد يملكها مسلمو اليوم: [الكامل]

لَسْنَا أَقَلَّ مَكَانَةً مِنْ غَيْرِنَا فِي الْعِلْمِ وَالتَّخْطِيطِ، نَحْنُ لَأَكْثَرُ[91]
وَلَنَحْنُ أَعْرَقُ فِي السِّيَاسَةِ، وَالْإِدَا رَةِ، وَالصِّنَاعَةِ، فِي الْقِيَادَةِ أَمْهَرُ
وَإِذَا فَتَحْنَا بَلْدَةً جِئْنَا لَهَا بِالْخَيْرِ، دَوْمًا، وَالْعَدَالَةَ نَنْشُرُ[92]

٣. حضور الفخر في بعض أغراض الشعر العربي الإفريقي

كل من اطّلع على قصائد شعراء منطقة غرب إفريقيا سيجد فيها أن غرض الفخر مبعثر في كثير من الأغراض التي تناولها شعراء المنطقة. وهذا يتطلب جهدا كبيرا واستقراء شاملا لقصائدهم ذات الأغراض المتنوعة لمعرفة المواطن التي تطرقوا فيها إلى هذا الفن. فمن خلال دراستنا المتواضعة أدركنا فعلا أن للفخر حضورا كبيرا في بعض الأغراض الشعرية الشائعة بين شعراء المنطقة. وأهم الأغراض التي استشعرنا فيها موضوع الفخر هي التالية:

٣,١. في غرض الرثاء:

إن الرثاء يعد الغرض الثانيَ الذي اهتم به الأفارقة بعد المدح، حيث أسهبوا في رثاء العلماء والشيوخ وأصحاب المقامات الدينية، إسهابا كثيرا جدا، لأنهم كانوا شعراء منحدرين من الطبقات الصوفية التي تُجِلُّ مشايخهم بالمدح أحياء كانوا أو ميّتين.[93] ولهذا فلا غرابةَ

87 - المصدر نفسه، 2/527.
88 - يوسف سُمانا، قصيدة إفريقيا تحت مطارق الاستعمار، (مكتبة المؤلف الخاصة)، 1.
89 - ولد عام 1942، وهو شاعر تقليدي اهتمت تجربته بالنظم في أغراض الغزل والوصف، والنقد الاجتماعي، محافظًا على قوانين القصيدة العربية التقليدية ومبادئ تشكيلها، اتسمت قصائده بأسلوبها المحكم ولغتها المنتقاة. له ديوان يتضمن 899 بيتا، وقد أسمى هذا الديوان بـ «من وحي المجتمع». انظر: https://www.almoajam.org/lists/inner/5402، تاريخ التصفح (17/03/2021).
90 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/554.
91 - فيه كسر وزني لاستقامة الوزن ينبغي أن يكون «الأكثر» بالتّعريف.
92 - محمد الأمين جابي، ديوانه، (غينيا: مخطوطة في مكتبة المؤلف الخاصة)، 66.
93 - انظر: Çiftçi, Faruk, Soumana, Youssoufa, «فن الرثاء لدى شعراء القرن العشرين في غرب إفريقيا».885-849 ,(Aralık, 2021) 19/ 2 *Hitit Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi*.

أن نجد بعضهم من خلال رثائهم لعلمائهم ومشايخهم أن يمزجوا الفخر بالرثاء. يقول الشاعر السنغالي محمد الأمين بن الزبير[94] عندما يرثي شيخه سعيد نور تال يفتخر بكرمه وأخلاقه النبيلة: [الكامل]

مَا إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَطُّ سِوَى أَرَى ... يُعْطِي وَيُطْعِمُ وَالْعُيُوبَ يُوَارِي
قُلْنَا سَعِيدٌ نُورُ سَعْدِ زَمَانِهِ ... حَقًّا وَمَا فِي قَوْلِنَا مِنْ عَارِ[95]

فإذا كان للفخر حضور في الرثاء الذي هو مدح الأموات، فمن باب أولى أن نجد له حضورا كبيرا في غرض المدح للتقارب الشديد بينه وبين المدح. وإضافة إلى هذا فقد قلنا سابقا أن من النّقاد من يعتبر الفخر والمدح بالجملة غرضا واحداً. ولهذا لم نر حاجة إلى الإطالة في الكلام حول حضور الفخر في القصائد المدحية وسرد الأمثلة في ذلك.

٣,٢. في غرض الحنين:

أكثَرَ شعراء المنطقة هذا الغرض في قصائدهم عندما غادروا أوطانهم ورحلوا إلى بيئات أخرى لطلب العلم وغيره، أو عندما عجزوا عن الرحلة إلى زيارة الأماكن المقدسة. فلنكتف بالقصيدة الشَّوقية للشاعر الغيني هارون الرشيد جَلُّو (ت. ١٩٨٣م)[96] في أثناء إظهار شوقه إلى مدينة «كَابُو» يفتخر بتواضع سُكَّانها وشجاعتهم وغزارة علمهم ومساندتهم للمحتاجين. قائلا: [البسيط]

أُولَئِكَ الْقَوْمُ إِنْ سَاءَلْتَهُمْ خَضَعُوا ... وَهُمْ لُيُوثٌ أَشِدَّاءٌ لَدَى الْبَأْسِ
قَوْمٌ، حَدِيثٌ وُقرْآنٌ حَدِيثُهُمْ ... كَأَنَّمَا فِي بُخَارَى ابْنِ عَبَّاسِ[97]

٣,٣. في غرض الغزل:

كان الغزل من الأغراض القليلة الاستعمال في الغرب الإفريقي، لكون أكثر شعراء المنطقة ممن كان له باع طويل في الشريعة، وله مقامه الاحترامي في مجتمعه. وإن وُجِد منهم من يتغزل في قصائده فلْنعلَم أنه في غالب الأحيان ينتهج في تغزله منهج الغزل التقليدي الذي كان عليه شعراء العرب القدامى. ولذا كانت قصائدهم الغزلية عفيفة لا يصادم مع الآداب الإسلامية. فمن خلال سردهم لهذه الغزليات قد يتطرقون إلى موضوع الفخر كما يفعله بعض الشعراء الجاهليين في قصائدهم الغزلية. مثل الشاعر السنغالي محمد جولدي (ت. ١٩٩١م)[98] في قصيدته الغزلية التي كان فيها أكثَر تأثرا بالشاعر الجاهلي عنترة بن شدّاد، لأنه مر بالتجربة نفسها التي مرَّ بها عنترة، وهو حرمانه من إرواء غليله في الزواج بمن عشقها وتعلق بها قلبه، فظل مخاطبا محبوبته مفتخرا بأخلاقه حتى يُثْبِت أمام من حرموه من الزواج بها بأنه رجل كفء أصيل يستحق الظفر بعشيقته: [الوافر]

لَا تُعْطِي الْوُشَاةَ وَلَا الْغَوَايَا ... وَلَا الْحُسَّادَ مِنْ جُرْحِي وَكَيِّ
سَلِي الْأَحْبَابَ هَلْ أَغْتَابُ قَرْنًا ... وَهَلْ أُغْرِي الْحَفِيَّ عَلَى الْحَفِيِّ[99]

والشاعر السنغالي لامين ديانغ[100] في قصيدته «فتاة فوق ريم في الجمال» نراه لما تغزّل بمحبوبته اختتم قصيدته بهذين البيتين اللذين يفتخر فيهما بشاعريته قائلا: [الوافر]

فَشِعْرِي لَا تَنَالُهُ[101] أَيُّ بِنْتٍ ... هُوَ الْعِقْدُ الْمَصُوغُ مِنَ اللَّآلِي
أَقُولُ لَكِ الْحَقِيقَةَ يَا فَتَاتِي ... بِأَنِّي فِي الْهَوَى صَعْبُ الْمَنَالِ[102]

٣,٤. في الهجاء

فنَّ الهجاء مثل فنّ الغزل في الندرة، وليسا كالمدح والرثاء والوصف في الشيوع لدى شعراء المنطقة، لأنهم يرون أن الهجاء غرض مغاير لتعاليم الإسلام إلا ما كان يهجى به الأعداء. ولا شكَّ أنّ الهاجي أحيانا يتطرق إلى تعداد فضائله ليتباهى على المهجوّ. وهذا هو

94 - له مخطوطات عديدة من القصائد، منها قصيدة: "شوقي لخير البرايا» المخمسة، وتحفة الإخوان على تخميس النونية المسماة "ريّ الظمآن في مولد سيد بني عدنان". للاطلاع على بعض قصائده انظر كتاب الأدب السنغالي العربي، وكتاب الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا.

95 - محمد صالح الفلاني عمر با، الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2006)، 304.

96 - هو شاعر صوفي أكثر في غرض الحنين والشوق والدعوة إلى التحلي بالأخلاق، كما أن له أشعارا في المدح والرثاء في شيوخه. للمزيد انظر: عمر با، الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا.

97 - عمر با، الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا، 469.

98 - شاعر محافظ على أصول القصيدة العربية التراثية بتراكيبها الأصيلة وصورها المستمدة من تخوم الصحراء العربية بلغة تقترب من لغة الجاهليين، إذ تتصف جل مطالع قصائده بمقدمات طللية وخواتيم قوية. انظر: كتاب الأدب السنغالي العربي، وكتاب الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا.

99 - عمر با، الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا، 460.

100 - لم أقف على ترجمته.

101 - حتى يستقيم الوزن ينبغي عدم مدّ الهاء في «تنالهُ»

102 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي 2/531.

عين الفخر الذي يختلط به غرض الهجاء. فيقول الشاعر النيجيري داود البردي[103] فيما أسماه بـ»أرجوزة التحذير» مهاجما على من يعيب عليه سلفيّته وتمسكه بالكتاب والسنة: [الرجز]

تَقْدَحُ فِينَا نَحْنُ أَتْبَاعَ السَّلَفْ ... مُعَمِّمًا إِثْمَ وَرُزْءَ مَنْ خَلَفْ
كَيْفَ تَشُنُّ دَائِمًا هُجُومًا ... عَلَى الأُلَى قَدْ حَصَلُوا عُلُومًا
فِي نَجْدَ وَالْحِجَازِ مِنْ ذَوِي الْعَقَا ... ئِدِ الصِّحَاحِ رَافِضًا قَوْلًا حَقًّا[104]

وقد يتداخل الفخر مع العتاب، وذلك في قصيدة «اسكت وإلا قطعتُ لسانك» الهجائية للشاعر النيجري علي تاسع[105] حيث قال: [الوافر]

عَرَفْنَا طُولَ بَاعِكَ فِي انْتِحَالٍ ... فَشِعْرُكَ كُلُّهُ مِنْ آخَرِينَا
قَرِيحَتُنَا تَجُودُ لَنَا بِشِعْرٍ ... لِأَبْيَاتٍ وَلَسْنَا سَارِقِينَا
كَشَفْنَا عَنْ قِنَاعِ الْحَقِّ رَغْمًا ... لِأَنْفِكَ يَا زَعِيمَ الْكَاذِبِينَا[106]

ومن الهجاء تلك قصائد النقائض التي دارت بين شعراء المنطقة، وقد نجد فيها أن بعضهم يفتخرون على البعض، فهذا هو الشاعر السنغالي أحمد جي الذي له قصيدة لامية أجاب بها صديقه الشاعر علي شيتُ سيسي[107] بعد مطالعة قصائده، فقال هازلا ومفتخرا عليه بشاعريّته في الوقت نفسه: [البسيط]

يَا شَاعِرَ الْأَمْسِ إِنِّي شَاعِرُ الْجِيلِ ... مِنِّي لَكُمْ كُلُّ تَعْظِيمٍ وَتَبْجِيلِ
أَنْتَ الْقَدِيمِيُّ لَكِنَّنِي مُجَدِّدُكُمْ ... وَلِلْقَدِيمِ عَلَى التَّجْدِيدِ تَفْضِيلِ[108]
مَثِّلْ لِعَصْرِكَ تَمْثِيلًا يُنَاسِبُهُ ... فَإِنَّنِي لِزَمَانِي حِلْفُ تَمْثِيلِ[109]

نستشعر في هذه الأبيات أن الشاعر أحمد جي قد هجا صديقه عن طريق غير مباشر حيث جعل نفسه فوق مقام صديقه في قرض الشعر، لأنه يرى نفسه أنه مجدد وممثل شعراء زمانه فليس صديقه علي شِيتُ سيسي الذي ليس له سوى فضل السبق.

٤. البناء الفنّي لقصائد الفخر التي تناولها شعراء غرب إفريقيا.

إن الصور الشعرية تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكر أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع[110] ولا شك أن هذه التركيبة العقلية هي مرآة لحالات الشاعر النفسية والعاطفية. وقد وُفِّقَ شعراء المنطقة في تصوير مشاعرهم الذاتية في قصائدهم الفخرية. وإن كانت بعض صورهم البنائية والأسلوبية تقليدية إلا أن بعضها الآخر صاغوها من تجاربهم الحديثة حسب ما تقتضيه حالاتهم العاطفية. وإليكم هذه الصُّور في النِّقاط الآتية:

٤,١- مقدمة القصيدة وخاتمتها

كما كان غرض الفخر في الغالب مبعثرا في الشعر الجاهلي كذلك في الشعر العربي الإفريقي أيضا، حيث وجدنا أن أكثر قصائد شعراء المنطقة على هذه الشاكلة. ولكن هذا لا يجعلنا أن ننفي نفيا باتا بعدم وجود قصيدة مستقلة نُظِمَّت في هذا الغرض. فقد حصلنا على بعض القصائد التي خصها بعض شعراء المنطقة لهذا الغرض مثل قصيدة الشاعر الغيني الحاج مختار الكبير التي قالها في قبيلته «آل جابي»، وقصيدة الحاج كرمبا ماصمبي التي يفتخر فيها بنفسه وأهله.[111] وقد جاءت بنية أكثر هذه القصائد الفخرية خاضعة للبناء التقليدي المتعارف عليه في الشعر العربي القديم. وعليه نقول إن البناء الفني لمقدمات وخواتيم قصائد إفريقيا الغربية المتضمنّة لغرض الفخر يتجلى فيما يلي:

أ- البدء بالمقدمات الطللية:

وتظهر هذه السمة غالباً مَا في القصائد الفخرية المرتبطة بالغزليات أو بالمدحيات. مثل قصيدة الشاعر الغيني الحاج محمد فُودِي

103 - شاعر عرف بديوانه المسمى بـ» ديوان الشباب».
104 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي 2/784.
105 - أستاذ ومدير التعليم العربي العالي بوزارة التعليم العالي والبحث في النيجر، وله قصائد قالها في الأغراض المتنوعة.
106 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي 2/ 622.
107 - لم أقف على ترجمته.
108 - كسر آخر لفظ «تفضيل» لضرورة الشعر.
109 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/620.
110 - عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ط4، (القاهرة: مكتبة غريب للطباعة، د.ت)، 58.
111 - انظر القصيدة كاملة، جابي، روائع آل كَرمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م، -265 355.

جَابِي[112] الذي مزج فيها بين الغزل والافتخار بمناقب الآباء. فبدأ قصيدته بالبكاء على الأطلال ورسم الذكريات التي عاشها مع محبوبته الخيالية، فقال: [الوافر]

أَمِنْ تِذْكَارِ هِنْدٍ فِي الغَوَانِي بَضِيضِ الجِسْمِ فِي حُلَلٍ حِسَانِ[113]

وبعد البكاء وسرد الذكريات الطويلة شرع الشاعر يفتخر بأجداده قائلا:

رِجَالٌ جَاهَدُوا فِي اللهِ حَقًّا بِإِرْشَادٍ إِلَى سُبُلِ الجِنَانِ
كِرامٌ دَأْبُهُمْ هَدْيُ العِبَادِ وإِرْقَاءُ الوَضِيعِ لِلْقُنَانِ[114]

ب- الولوعُ بِالألفاظ الغريبة:

إنَّ ولع الشعراء الأفارقة بالصنعة اللفظية جعلهم يستخدمون في مقدماتهم كلمات غريبة مهجورة ولا يخرجون عن منوال الشعراء القدامى حتى لا نكاد أحيانا نفرق بين هذا وذاك. فمن هؤلاء مثل الشاعر الحاج مختار الكبير المستخدم في مطلع قصيدته الفخرية لفظَ «العِيس» بدلا من ألفاظ «الناقة» أو «الجمل» أو «الإبل» الشائعة: [الطويل].

دَعِ العِيسَ فِي عُرْضِ الْمَهَامَةِ تَذْرَعُ وتُمْسِي قَلِيلًا مَا مِنَ اللَّيْلِ تَهْجَعُ[115]

لفظ العيس لغة قديمة شائعة الورود على ألسنة شعراء الجاهلية، وليس من عناصر البيئة الغينية التي ما كانت الناقة من الحيوانات المألوفة والمنتشرة فيها. وكان الشاعر بهذا الأسلوب معروفا لدى أهل زمانه، ولا غرو في ذلك إذ كانت طبيعة عصره هي التي أفرضت عليه ذلك وعلى غيره من معاصريه أن يختاروا من مفردات اللغة العربية أوعرَها، ومن ألفاظها أغربَها، ومن كلماتها أقربَها إلى لغة امرئ القيس والشنفرى، فقد كان التبحر في اللغة سِمَةَ عصره، وكان أحد علماء طوبى، وهو «كَرَمُوكُ سَنكُنْ جابي» يتباهى بأنّه يحفظ عشرات الأسماء المترادفة لِمُسمّى واحد في اللغة العربية.[116]

جـ- الشروع في الموضوع بدون المقدمات الطللية:

حاول بعض الشعراء الأفارقة التخلص من الطراز التقليدي الذي انبنى عليه الشعر العربي الجاهلي، فبدؤوا بموضوع الفخر دون تقديم أي تمهيد أو مقدمة تقليدية في مطلع القصيدة. فمن هؤلاء الشاعر الغيني الحاج با قطب جابي[117] الذي يبتدئ في قصيدته الفخرية بالفخر بمدينة طوبى وأهلها: [الطويل]

وَنَحْنُ بَنُو طُوبَى وطُوبَى لأَهْلِهَا وَطُوبَى مَقَرُّ العَارِفِينَ الأَكَابِرِ
بَنَاهَا كَرَمْخُبَا وَزاخَا[118] هُمُ هُمُ كِرامٌ عَلَوْا فِي العِلْمِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ[119]

د- ختم القصيدة بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام:

لما كانت أكثر قصائد شعراء الغرب الإفريقي مصبوغة بصبغة إسلامية نجد هذه السمة أيضا في أشعارهم الفخرية حيث كانوا يختتمون أحيانا بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، مثل أواخر قصيدتي الشاعر الحاج با قطب جابي والشاعر المالي عمرو عبد اللطيف ساغو[120]، فيقول هذا الأخير في خاتمة قصيدته الفخرية المؤلفة بتسعة عشر بيتا: [الوافر]

أُبَارِكُ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْفَصِيحِ تَفَرَّدَ بِالْفَصَاحَةِ وَالْجَمَالِ[121]

٤,٢. بعض الصور البلاغية التي تضمّنها قصائد الفخر لشعراء غرب إفريقيا.

إن الأسلوب البلاغي هو ذاك النمط الذي يصل عبرَه المعنى المقصود إلى قلب السامع في صورة مقبولة ومعرض حسن يثير انتباه

112 - هو الشيخ محمد فودي بن محمد المصطفى بن الشيخ محمد التسليمي الذي يعد من فحول شعراء غينيا وأغزرهم شعرا، وكان يرتجل الشعر ارتجلا. انظر: روائع آل كَرَمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م. 221.

113 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/774.

114 - جابي، روائع آل كَرَمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م، 373.

115 - المصدر نفسه، 247.

116 - المصدر نفسه، 248.

117 - ولد 1945 في مدينة طوبى بالسنغال، وله قصائد متنوعة ذكرت بعضها في كتاب «روائع آل كَرَمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م.

118 - كَرَنْمُخُبَا وزاخا اسمان من أسماء آبائه الذين يفتخر بهم.

119 - جابي، روائع آل كَرَمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م، 366.

120 - من الشعراء الماليين المكثرين الشعرَ، وقد أورد عمر كبا في كتابه بعضا من أشعار الشاعر. انظر: كتاب الشعر العربي في الغرب الإفريقي.

121 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/774.

السامع.[١٢٢] فإذا كان الأمر كذلك فإن الشاعر أحوج إلى هذا الأسلوب الفني ليخرج شعره من الأسلوب الكلامي العادي إلى أسلوب يتمتع بالفصاحة والروعة والجمال. وقد كانت قصائد شعراء المنطقة مليئة بهذه التراكيب البلاغية على غرار الشعر العربي القديم، حتى إن القارئ لَيُحِسُّ بأن ناظمي هذه القصائد من الشعراء العرب الأقحاح. فمن الأمثلة على ذلك الشاعر الغيني عثمان كُوصَ حيث قال: [الكامل]

وَقَصِيدَتِي لَمَّا انْتَهَتْ شَبَّهْتُهَا ... بِالبِكْرِ، إِذْ هِيَ كَالْأَنِيسَةِ تُبْهِرُ
بِكْرٌ يَفُوقُ جَمَالُهَا شَمْسَ الضُّحَى ... عَذْرَاءُ مِنْ كُلِّ الْعَذَارَى أَغْيَرُ
بَرَزَتْ بِزِينَتِهَا تَمِيسُ كَأَنَّهَا ... حَوْرَاءُ بَيْنَ خِيَامِهَا تَتَبَخْتَرُ
قَلَّدْتُ يَاقوتَ الثَّنَاءِ بِجِيدِهَا ... وَبِعِطْرِ كَافُورٍ لَهُ يَتَبَخْتَرُ[١٢٣]

أكثر الشاعر في هذه الأبيات التراكيب التشبيهية المتنوعة، فتارة يستخدم التشبيه المقلوب الذي هو جعل المشبه مشبها به قصدا للمبالغة،[١٢٤] حيث نراه بعدما شبّه شعره بالمرأة البكر الحسناء ادَّعى بأنَّ هذه البكر تفوق الشمس في النُّور والضياء، إلا أن المعروف عقلا ومنهجا هو أن نور الشمس هو الأقوى من نور الإنسان، لكن الشاعر قَلَب الأمرَ ليبالغ في افتخاره بشعره. وتارة أخرى يستخدم الشاعر الأسلوب التشبيهي العادي، فشبَّه قصيدته بامرأة حوراء تتبختر عند خروجها من خيامها وقد تعطرت بأجمل العطور، وتقلَّدت في عقنها عقد ياقوت يسحر العيون من لمعانه.

وكذلك الشاعر المالي عمرو عبد اللطيف ساغو يفتخر بشاعريته وفصاحته سالكا المسلك نفسه فيقول: [الوافر]

أَنَا الْخِنْذِيذُ فِي شِعْرٍ وَنَثْرٍ ... وَذُو مَجْدٍ وَذُو تَمٍّ الْخِصَالِ
وَإِنْ كُنْتَ شَكُوكًا[١٢٥] فِي الْمَقُولِ ... فجرِّبْ تَلْقَ شِعْرًا كَالنِّبَالِ
وَإِنْ لَمْ يَكْفِكُمْ قَوْلِي نَذِيرًا ... فَجَادِلْ تُسْقَ مِنْ سُمِّ الْجِدَالِ[١٢٦]

حاول الشاعر أن يُزيل شكوك الظَّانين وجهالة الجاهلين بحثِّهم على مقاومتهم إياه، لأنه يدعي بأنهم إذا جادلوه ونافسوه في الشعر فسوف يلقون قصائد مثل السهام التي لا تدخل في نحر الإنسان إلا وقد أردته قتيلا أو السموم التى لا تدخل في جسم الإنسان إلا وقد بددته وفتّكته فتكا.

والشاعر النيجيري عبد العزيز محمد أثناء افتخاره بأجداده في قصيدته النونية انتهز فرصة ليفتخر بذاته التي هي جزء ممن يفتخر بهم: [الكامل]

إِنَّا هَوَاطِلُ فِي الْعُلُومِ وَغَيْرُنَا ... كَالطَّلِّ لَا يُغْنِي صَدَى الظَّمْآنِ
إِنَّا مَصَابِيحٌ إِذَا حَارَ امْرُؤٌ ... لِقَضِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ وَبَيَانِ
آرَاؤُنَا بِكْرٌ أَمَامَ قَضِيَّةٍ ... أَعْيَتْ عُقُولًا مِنْ ذَوِي سَحْبَانِ[١٢٧]

افتخر الشاعر بأن أجداده في العلم مثل المطر الشديد الغزير الذي به تحيا الأرض وتخضر، وأن من سواهم مثل المطر الضعيف المستدق من القطر الخفيف الذي لا يسد حوائج الناس. كما أنه شبههم في هدايتهم للناس بأنهم مثل المصابيح التي يستنار بها عندما يرخي الليل سدوله. ثم وصفهم بأنهم يحلون بآرائهم المبتكرة مسائل الناس وقضاياهم العويصة التي تُعجِز حتى أصحاب العقول المنحدرين من نسل الرجل المسمى بسحبان الذي من قبيلة وائل العربية والذي هو مشهور بفصاحته وبلاغته.

لكن الشاعر عامر صمب لما افتخر بمدينته كبمير وشبابها -وهو أحد منهم- شبّه أنفسهم تشبيها بليغا بالسيوف التي لا تنزل على الأعناق الظالمة إلا قطعها: [المتقارب]

وَنَحْنُ السُّيُوفُ فِي[١٢٨] غِمْدِ الْوَطَنِ ... إِذَا سُلَّنَا قَدْ أُزِيلَ الظُّلَمْ[١٢٩]

والشاعر السنغالي عباس سَلْ عند افتخاره بعلمه اليقيني يجعل علم اليقين كأنه بحر صافٍ لا يشرب منه إلا من وصل إلى هذا المقام:

122 - أبوهلال العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين، مح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، (د.م: دار إحياء الكتب العربية، 1952)، 11.
123 - جابي، روائع آل كَرَمُخوبا في فوتا طوبى ما بين *1805-2007*م، 178.
124 - انظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان، (بيروت: دار النهضة العربية، 1985)، 95
125 - فيه كسر وزني
126 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/774.
127 - المصدر نفسه، 2/529.
128 - فيه كسر وزني
129 - صمب، الأدب السنغالي العربي، 2/529.

شَرِبْتُ مَا صَفَا مِنْ أَبْحُرِ الْيَقِينِ بِالْعِلْمِ وَالْعَيْنِ وَبِالْحَقِّ الْمُبِينِ[130]

وكذا الشاعر النجري أبوتميم محمد بوبكر[131] نجده في قصيدته الفخرية المعنونة بـ»فخر واعتزاز» يشبه حياته بالحرباء قائلا: [الطويل]

فَتِلْكَ حَيَاتِي كَالحِرِبَّاءِ تَارَةً بِلَوْنِ خُضَارٍ تَارَةً شَعْرُ ضَيْغَمِ[132]

أراد الشاعر أن يُشعرنا بأن حياته تتغير من حال إلى حال مثل الحرباء، فإن جاء المرء إليه مسالما يطلب وده وحبه فسيجد عنده حياة ممتلئة بالبهجة والسرور، وإن جاءه عدوًّا فسيجده مثل الضيغم الذي لا يقبل الدنيّة ولا المهانة فيقرع العظمَ نابُه.

لكن الشاعر محمد الأمين جابي نراه بارعاً ورائعاً في هذا النوع من التشبيه حيث استخدم كلمة الخيول في غير موضعها الحقيقي لأن البحار لا تخاض بالخيول وإنما بالسفن، فشبه السفن بالخيول على طريق الاستعارة التصريحية التي هي حذف المشبه وإبقاء المشبه به: [الكامل]

خُضْنَا الْبِحَارَ عَلَى مُتُونِ خُيُولِنَا فِي قَلْبِ أُورُبَّا نَسُودُ وَنَأْمُرُ[133]

استمد بعض شعراء المنطقة أساليبهم البيانية من بيئاتهم الإفريقية، فجاؤوا بتشبيهات وكنايات غير مألوفة في الشعر العربي القديم مما يجعل قصائدهم تتميز عن غيرها بخصائص تحمل في طياتها نكهة إفريقية وطعمة جديدة لا نجدها في الشعر العربي. فمن هؤلاء الشاعر السنغالي ذو القصيدة الحائية التي وجهها إلى زميله مورُ خُجَ ليخبره مدى فروسيته وشجاعته: [الطويل]

أَنَا طَعَامٌ[134] مُرٌّ مَنْ يَذُقْنِي يُمَجَّنِي وَمَنْ ذَاقَنِي لَا بُدَّ أَنْ قَاءَ أَوْ طَاحَا[135]

شبّه الشاعر نفسه بأنه مثل الطعام المرّ الذي إذا تناوله الشخص فإما أن يقيه فلا يستطع بلعه أو أن يختنق ضيقا لشدة مرارته. ولا شك أن هذا التشبيه من أنواع التشبيه التي تستخدمها بعض قبائل إفريقيا الغربية.

وعلى هذه الشاكلة نرى الشاعر النيجيري محمد الكبير بن محمد الثاني بَقِنْ رُوَا عند افتخاره بمقامه الصوفي يصف صوته قائلا: [الطويل]

أَنَا الدِّيكُ صَوْتِي يَمْلَأُ الْأُفْقَ جُمْلَةً أُرَدِّدُ كَيْمَا يَعْلَمُ الْقَوْمُ حُرْمَتِي
أَنَا الْمَرْجِعُ الْعَالِي وَذَوْقِي فَائِقٌ وَبَحْرُ رَسُولِ اللهِ صِهْرِيجُ جُرْعَتِي[136]

نرى الشاعر هنا في مدح نفسه يشبه نفسه بالديك في قوة الصوت وإحاطته بالناس، وهذا الأسلوب التشبيهي -مما أعرفه- غير معهود في الشعر العربي. إذ قلَّ أن نجد شاعرا عربيا يشبه نفسه بالديك، مما يجعلنا أن نقول بأنه استوحاه من بيئته الإفريقية التي لا ترى القبح في استخدام هذا النوع من التشبيه.

وأما الشاعر السنغالي الشيخ محمد الأمين بن الزبير فيقول مفتخرا بعلمه ومستخدما هذا الأسلوب الإفريقي: [الطويل]

فَنَحْوٌ وَتَصْرِيفٌ بَيَانٌ وَمَنْطِقٌ أُصُولٌ وَعِلْمُ الشَّرْعِ مِنْ تَحْتِ رُكْبَتِي[137]

لما أراد الشاعر أن يبين منزلته العلمية للناس وأن زمام علوم اللغة والشريعة جميعها بيده استخدم تعبير «تحت ركبتي» التي من التعابير الإفريقية التي يعبّر بها الإنسان الإفريقي إذا أراد أن يظهر مدى قوته وسلطته وخضوع الناس تحت إمرته. وهذا التعبير حسب علمي ما لا تألفه العرب، إذ تقول العرب مقابل هذا التعبير الإفريقي تعبير «تحت قبضتي» للدلالة على الاستيلاء والإحاطة.

ومن الأساليب البلاغية المستخدمة في هذا الفن الأسلوب الاستفهامي مثل قول الشاعر الغيني كَرَنْ سَنْكُنْ جابي: [الطويل]

أَلَا فَاخْطُبُوا مِنِّي الخَرَائِدَ تُعْطَكُمْ وَمَنْ لَمْ يَجِئْ بَابَ البُيُوتِ فَزَاهِقُ[138]

برع الشاعر في هذا البيت في رسم لوحة استعارية تشبيهية، حيث شبّه ما يقرضه من الأشعار بالفتيات العذراوات اللواتي من

130 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/524.
131 - هو شاعر معاصر مقيم في جمهورية بنين له قصائد متنوعة في موضوعات مختلفة لا سيما في الموضوعات ذات علاقة بالقضايا الاجتماعية.
132 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/524.
133 - أبو تميم محمد بوبكر، فخر واعتزاز، (مخطوطة في مكتبة المؤلف الخاصة)، 1.
134 - فيه كسر وزني
135 - صمب، الأدب السنغالي العربي، 2/71.
136 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/527.
137 - صمب، الأدب السنغالي العربي، 1/313.
138 - جابي، روائع آل كَرَمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م، 174.

أراد خطبتهن وزواجهن فلا بد أن يأتي ويقرع الباب ليستأذن من أهلهن. وهكذا استطاع الشاعر أن يلفت الأنظار باستخدامه الأسلوب الاستفهامي إلى قوله بأن كل من أراد أن ينال شعرا لا مثيل له فليأته وليأخذ منه أجود الأشعار وأجملها.

والشيخ أحمد التجاني سي السنغالي المهتم في قصائده بالقضايا السياسية والفكرية نراه عند افتخاره بفكره ومنطقه يستخدم أسلوب الحصر لتقوية ما يدّعيه: [الكامل]

مَا مَنْطِقٌ إِلَّا وَدُونَ تَعَقُّلِي ... مَا عِبْرَةٌ إِلَّا وَدُونَ بَيَانِي
فَتَزَوَّدَتْ نَفْسِي بِكُلِّ بَدِيعَةٍ ... وَبَدَائِعِي تَبْقَى عَلَى الْأَزْمَانِ[139]

افتخر الشاعر وبالغ في فخره بفكره وعلمه وفصاحته، حيث ادعى الكمالية في علم المنطق والفكر وأن جميع الأفكار دون أفكاره في الإبداع والتجديد. ولهذا يرى أن هذه الأفكار الإبداعية ستبقى مدى الأزمان يتغنى بها الناس.

وأما الشاعر الغيني كَرِمْبَا ماصِمْبِي جابي ينحى منحى أسلوب المدح الذي يشبه الذم فيقول: [الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ بُطُونَهُمْ ... بِعِلْمِ الْـهُدَى مَلْأَى وِعَا الْكُلِّ مُقْصَمُ[140]

يصدّر الشاعر الغيني هنا كلامه بنفي العيب نفيا عاما عن أجداده الممدوحين، ثم يأتي بعد ذلك بأداة «سوى» الاستثنائية ليتوهم المستمع بأنه سيأتي بصفة ذم لممدوحيه، لكنه سرعان أن سبق الشاعرُ هذا الوهمَ بنعت ممدوحيه صفة مدح لم يكن المستمع يتوقع بهذه الخدعة البلاغية التي قام بها الشاعر.

ومن الذين ساروا على نهج المحسنات اللفظية أيضا الشاعر النيجيري عبد الرزاق أبولاجي[141] إذ قال: [الطويل]

أَرَى كُلَّ فَخْرِي عَائِدًا لِبُنَاتِي ... بَنَوْنِي بِأَقْوَى الحِصِّ فِي لَبِنَاتِي[142]

في هذا البيت جناس غير تام بين لفظ «بُنَاتِي» و«لَبِنَاتِي».

كما أن بين لفظي « بُنَاتِي» « بنوني» جناس اشتقاق، وقد زادت هذه الصنعة اللفظية البيت جمالا ورونقا إذ الجناس ما هو إلا إيقاع صوتي تتكرر فيه الكلمات المتجانسة تجانسا تاما أو غير تام في مساحة البيت الشعري أو الجمل النثرية.[143]

وكذلك الشاعر الغيني الحاج عبد الرحمن باه استخدم هذه الإيقاعات الصوتية أيضا في قصيدته التي نظمها فخرا لوطنه، لكن لا عن طريق الجناس وإنما عن طريق الأسلوب التكراري إذ كرر الشَّاعر كلمة «بلاد» تفخيما لشأن وطنه: [مجزوء الرمل]

يَا بِلَادِي يَا بِلَادِي ... يَا بِلَادِي يَا عِمَادِي[144]

فهذه نماذج أسردناها لا على سبيل الحصر، وذلك لمراعاة طبيعة البحث، لأن مقصدنا هنا هو تسليط الضوء على بعض قصائد شعراء المنطقة التي قرضوها في هذا الفن. ولا شك أن هذه الأمثلة المسردة تشير إلى شاعرية شعراء غرب إفريقيا وطول ذراعهم في إنتاج الشعر العربي الإفريقي، كما أن هذه النماذج تجعلنا نجزم بتفنن الشعراء الأفارقة في غرض الفخر.

الخاتمة

توصّلنا من خلال هذه الدراسة أن الفخر من الأغراض قليلة الاستعمال في الشعر العربي الإفريقي بمنطقة الغرب الإفريقي، وذلك بسبب النزعة الإسلامية التي يحملها شعراء المنطقة، والتي جعلت أشعارهم الفخرية على وجه العموم مصبوغة بصبغة دينية عندما يفتخرون بقبائلهم وأنسابهم، حيث يصفونهم بأنهم الأئمة وأركان الدين، وأنهم الأنجم التي يستنار بهم للوصول إلى الطريق المستقيم، وأنهم الأعلام في العلم والمعرفة، ثم يصفونهم أيضا بأنهم كثيرو الرماد من شدة ضيافتهم وكرمهم وجودهم. بل فقد وجدنا هذه الصبغة الدينية حتى في افتخارهم الذاتي، حيث افتخر بعضهم بدرجاتهم العلمية ومقاماتهم الصوفية.

اتَّضح من خلال الدراسة أن بعض الشعراء الأفارقة قلدّوا الشعراء العرب القدامى، فافتخروا بمزاياهم التي تعبِّر عن أخلاقهم الفاضلة وشخصياتهم الشعرية والبطولية، وأظهروا من خلال ذلك عيوب غيرهم من الشعراء الآخرين ليبينوا لنا أنهم مظان الأخلاق الحميدة. كما أنهم أيضا تطرقوا إلى ذكر مثل هذه المزايا عندما يفتخرون بقبائلهم وأنسابهم، حيث وصفوهم بالكرم والسخاء والتقوى والعلم

139 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/525.
140 - جابي، روائع آل كَرَمُخوبا في فوتا طوبى ما بين 1805-2007م، 118.
141 - شاعر مقيم في دولة النيجر بصفة أستاذ بالجامعة الإسلامية بالنيجر. وله ديوان شعري إضافة إلى مجهوداته الكبيرة في تطوير التعليم العربي الإفريقي.
142 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/539
143 - محمد الواسطي، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، ط3، (الرباط: دار نشر المعرفة، 2003)، 181.
144 - عمران، الشعر العربي في الغرب الإفريقي، 2/764.

والصلاح. وأما بعضهم فقد رأينا أنهم بدلا من أن يفتخروا بقبائلهم فقد تجاوزوا عن ذلك إلى الافتخار بالعالم الإسلامي وبما حققته الأمة الإسلامية من فتوحات وإنجازات علمية.

وكما اتضح للباحث أيضا أن افتخار شعراء غرب إفريقيا بدين الإسلام يتمثل في ذكر مميزات الطريقة أو الطائفة التي ينتسبون إليها أو في سرْد المقامات التي حصلوا عليها. وهذا يسوقنا إلى القول بأن ما من شاعر من شعراء المنطقة إلا وله في غالب أمره مرجع طائفي ديني ينتسب إليه. ونستنتج من هذا أن تعدد الطوائف الدينية كان لها دور بارز في تنوع وتطور هذا الغرض في المنطقة. ومن هنا نعرف أيضا أن التيارات الدينية المنتشرة في المنطقة تتمثل في الطريقة التيجانية والقادرية والمريدية والتيار السلفي والشيعي.

جاء غرض الفخر مبعثرا في الشعر العربي الإفريقي، مما جعله ذا حضور كبير في الأغراض الشائعة بين شعراء المنطقة وخاصة في قصائدهم المدحية والغزلية والرثائية التي كانت بنية بعضها خاضعة للشعر العربي التقليدي مثل القصائد المبدوءة بالمقدمات الطللية والبكاء لفراق المحبوبة أو كانت بنية بعضها الآخر محررة من المنهج التقليدي كالقصائد المبدوءة بدون المقدمات الطللية أو المصبوغة بصبغة إسلامية كابتدائها بالحمدلة والصلصلة واختتامها بما ابتدأت بها من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وبالرغم من عدم إكثار شعراء المنطقة للشعر الفخري فإننا توصلنا إلى أنّ ما قرضوه من هذا الغرض مليء بالتراكيب البلاغية على غرار الشعر العربي القديم مع تضمنه لبعض الأساليب والمفاهيم الجديدة المرتبطة بواقعهم الإسلامي والإفريقي.

وأخيرا نوصي النقاد والباحثين المهتمين بهذا المجال وخاصة أبناء القارة الإفريقية منهم إلى العناية بمثل هذه الدراسات حتى يقفوا على أعمال أدباء المنطقة، ويقوموا بالتحقيق والتنقيح والتحليل، دفعا لعجلة حركة أدب المنطقة، إذ لم يحظ أدب المنطقة بما تستحقه من اهتمام، حيث لم يزل مجهولا لدى بعض الأدباء والدارسين للأدب العربي.

المراجع

ابن برد، بشار بن برد، ديوانه، تح: محمد الطاهر بن عاشور، الجزائر: وزارة الثقافة، ٢٠٠٧.

ابـن رشـيق، أبـو عـلي الحسـن بـن رشـيق القـيرواني، العمـدة في محاسـن الشـعر وآدابـه، مـح: محمـد محيـي الديـن عبـد الحميـد، مجلـدان، بـيروت: دار الجيـل، ١٩٨١.

ابن شداد، عنترة بن شداد، ديوانه، مح: حمدو طمّاس، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ٥ مج، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

أبو تميم محمد بوبكر، فخر واعتزاز، (مخطوطة في مكتبة المؤلف الخاصة).

أبوهـلال العسـكري، الحسـن بـن عبـد اللـه، كتـاب الصناعتـين. مـح: عـلي محمـد البجـاوي ومحمـد أبـو الفضـل، (د.م: دار إحيـاء الكتـب العربيـة، ١٩٥٢.

إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، ط٤، القاهرة: مكتبة غريب للطباعة، د.ت.

امبي، أبوبكر بن سليمان، بعض ملتقطات من الإنتاج الشعري للسيد الشيخ أحمد التجاني سي المكتوم، السنغال: د.ط، د.ت.

إنياس، الخليفة الحاج محمد، الكبريت الأحمر في مدائح القطب الأكبر، د.ط، د.م، د.ت.

البارودي، محمود سامي، ديوانه، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣.

بمبـا، أحمـد، «قصيـدة ويخلـق مـا لا يعملـون»http://khassidaenpdf.free.fr/khassida_pdf/Wa%20maalaa%20yakhlukhu%20tahlamouna.pdf

جابي، محمد الأمين، ديوانه، غينيا: مخطوطة في مكتبة المؤلف الخاصة.

جابي، محمد الأمين، روائع آل كَرمُخوبا في فوتا طوبى ما بين ١٨٠٥-٢٠٠٧م، غينيا، مخطوطة في مكتبة المؤلف الخاصة.

الجعدي، النابغة، ديوانه، مح: واضح الصمد، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨.

حاوي، إيليًا، فنّ الفخر وتطوره في الأدب العربي، بيروت: دار الشرق الجديد، ١٩٦٠.

حسـن، نـاصر يافـث، الشـاعر الشـيخ محمـد نـاصر كـبر أنموذجـاً للشـعر العـربي في نيجيريـا، (رسـالة ماجسـتير، جامعـة الجزيـرة، السـودان، ٢٠١٥).

الدّغـاني، محمّـد الأمـين جُـوبْ، إرواء النديـم مـن عـذب حـب الخديـم، مـح: محمـد شـقرون، طـوبي: الإدارة العامـة لمؤسسـة الأزهـر الإسـلامية، د.ت.

دفتري، فرهاد وغيره، العالم الشيعي: طرائق في التقليد والحداثة، تر: سيف الدين القصير، لندن: دار الساقي، ٢٠١٨.

الزَّوْزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السَّبع، د.م.: الدار العالمية، ١٩٩٣.

سـاي، أميـدو، الخطابـات السـلفيّة والجهاديـة: بوكـو حـرام وشـبكات الإرهـاب الصاعـدة في الغـرب الإفريقـي المسـلم، الريـاض: مركـز الملـك فيصـل للبحـوث والدراسـات الإسـلامية، ١٤٣٨هـ.

سُمانا، يوسف، قصيدة إفريقيا تحت مطارق الاستعمار، (تركيا: مكتبة المؤلف الخاصة).

شافعي، بدر حسن، الدور الإيراني في أفريقيا، القاهرة: المعهد المصري للدراسات، ٢٠٢٠.

صمب، عامر، الأدب السنغالي العربي، مجلدان، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، ١٩٧٨.

ضيف، شوقي، البطولة في الشعر العربي، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٨٤.

عتيق، عبد العزيز، علم البيان، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٥.

عمر با، محمد صالح الفلاني، الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦.

عمران، كبا، الشعر العربي في غرب إفريقيا، ٣مج، الرباط: إيسيسكو، ٢٠١١.

غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، كانو: دار الأمة، ط٣، ٢٠١٦.

الفاخوري، حنا، الفخر والحماسة، القاهرة: دار المعارف، ط٥، ١٩٩٢.

فاط، الشيخ محمد المرتضى مباكي شيخ، المريدية: الحقيقة والواقع وآفاق المستقبل، طوبى: الإدارة العامة لمؤسسة الأزهر الإسلامية، ٢٠١١.

الفوتي، عمر سعيد، سيف الحق المعتمد فيما وقع بين الشيخ عمر الفوتي وأحمد بن أحمد الماسني، مح: لهادي المبروك الدالى- مطير سعد غيث، القاهرة: دار حميثرا للنشر والترجمة، ٢٠١٨.

القاضي، محمد محمود، عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقية، القاهرة: مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٩٩.

قداح، نعيم، أفريقية الغربية في ظل الإسلام، دمشق: مكتبة أطلس، ١٩٦١.

محمد، عبد الصمد عبد الله، الشعر العربي في غربي إفريقيا منذ الاستعمار- السنغال ونيجيريا-، مكة: منشورات جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

موصللي، أحمد، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤.

ناصيف، إميل، أروع ما قيل في الفخر والحماسة، بيروت: دار الجيل، ١٩٥٠.

الواسطي، محمد، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، الرباط: دار نشر المعرفة، ط٣، ٢٠٠٣.

KAYNAKÇA

Atîk, Abdu'l-'Azîz, *'İlmu'l-Beyân*. Beyrût: Dâru'n-Nahdati'l-'Arabiyye, 1985.

Bamba, *Kasidetu ve Yahluku Mâ lâ Ta'lamûn*, http://khassidaenpdf.free.fr/khassida_pdf/Wa%20yakhlukhu%20maalaa%20tahlamouna.pdf, (Erişim tarihi:26.01.2021)

Bârûdî, Mahmûd Sâmi, *Dîvânu'l-Bârûdî*, Kahire: Muessesetu Hindâvî li't-Ta'lîm ve's-Sakâfe, 2013,

Câbî, Muhammed el-Emîn, *Dîvânu Muhammed el-Emîn Câbî*. Yazarın özel kütüphanesi, Konakri, Yayınlanmamış divan.

Câbî, Muhammed el-Emîn, *Ravâi'u Âli Karamukûbâ fî Fûta Tûbâ Mâ Beyne 1805-2007*. yazarın kütüphanesi, Konakri, Yayınlanmamış kitap.

Ce'dî, Nâbige, Dîvâ*nu'n-Nâbige*, thk. Vâdih es-Samed, Beyrût: Dâru Sâdir, 1998.

Daftary, Farhad vd. *el-'Âlemu'ş-Şîî' Tarâ'ik fi't-Teklîd ve'l-Hadâse,* cev. Seyfuddîn el-Kasîr, Landon: Dâru's-Sâkî, 2018.

Dâgânî, Muhammed Cob, *İrvâunnedîm min 'Azbi Hubbi'l-Hadîm*, thk. Muhammed Şakrûn, Tûba: el-İdâratu'l-'Âmme li Muesseseti'l-Ezher. ts.

Dayf, Şevkî, *el-Butûle fi'ş-Şi'ril-'Arabî*, Kahire: Dâru'l-Me'ârif, 2. Basım, 1984.

Ebû Hilâl el-'Askerî, el-Hasan b. Abdillah, *Kitâbu's-Sinâ'ateyn*. thk. Ali Muhammed el- Becâvî ve Muhammed Ebû'l-Fedl, by. Dâru İh-yâi'l-Kutub, 1952.

Ebû Temîm Muhammed Bubakr, *fahrun ve'tizâz*, Yazarın özel kütüphanesi, Benin.

Fâhûrî, Hannâ, *el-Fahr ve'l-Hamâse*, Kahire: Dâru'l-Me'ârif, 5. Basım, 1992.

Fât, eş-Şeyh Muhammed Murtadâ, *el-Murîdiyye, el-Hakîka ve'l-Vâki' ve Âfâku'l-Mustakbel*, Tubâ: el-İdâratu'l-'Âmme li Muesseseti'l-Ezher, 2011.

Fûtî, 'Umer Said, *Seyfu'l-Hakki'l-Mu'temed fi Mâ Veka'a Beyne'ş-Şeyh 'Umer el-Fûtî ve Ahmed b. Ahmed el-Mâsinî*, thk. el-Hâdî el-Mebrûk ed-Dâlî ve Mutayr Sa'd Gays, Kahire: Dâru Humeyserâ, 2018.

Galâdançî, Ahmed Said, *Hareketu'l-lugati'l-'Arabiyye ve Âdâbihâ fi Nîcîriyâ*. Kano: Dâru'l-Umma, 3. Basım, 2016.

Hasan, Nasır Yâfis, eş-Şâ'ir eş-Şeyh Muhammed Nasır Kabara Unmûzecen Li'ş-Şi'ri'l-'Arabî fî *Nîcîriyâ,* Yüksek lisan tezi, el-Cezîra Üni-versitesi, Sudan, 2015.

Havî, Îliyyâ, *Fennu'l-Fahr ve Tetavvuruhu fi'l-Edebi'l-'Arabî*, Beyrût, Dâru'ş-Şerki'l-Cedîd, 1960.

İbn Burd, Beşşâr, *Dîvânu Beşşâr b. Burd*, thk. Muhammed et-Tâhir b. 'Âşûr, Cezâyir: Vizâretu's-Sekâfe, 2007.

İbn Reşîk, Ebû Ali el-Hasan b. Reşîk el-Kayravânî, el-'Umde fî Mehâsini'ş-Şi'r ve Edâbih, thk. Muhammed Muhyiddîn Abdulhamîd. 2 Cilt. Beyrût: Dâr'l-Cîl

İbn Şeddâd, 'Antere, *Dîvânu 'Antere b. Şeddâd*, thk. Hamdû Tammâs, Dâru'l-Ma'rife, Beyrût, 2004.

İbnu Manzûr, Muhammed b. Mukrim, *Lisânu'l-Arab.* 15 Cilt, Beyrût: Dâru Sâdir, 3. Basım, h.1414.

İmbây, Ebû Bekr b. Suleymân, Ba'du Multakatâtin Mina'l-İntâci'ş-Şi'rî Li's-Sayyid Ahmed et-Ticânî Si'l-Mektûm, Tuvavûn: yy., tsz.

İmîl, Nâsîf, *Erva' Mâ Kîla fi'l-Fahr ve'l-Hamâse*, Beyrût: Dâru'l-Cîl, 1950.

İmrân, Kabâ, *eş-Şi'ru'l-Arabî fi'l-Garbi'l-İfrîkî*. 3 Cilt, Rabat: Menşûrâtu İsesco, 2011.

İsmâil İzzuddîn, *et-Tefsîru'n-Nefsî li'l-Edeb*, Kahire: Mektebetu Garîb li't-Tibâ'a, ts.

Kaddâh, Na'îm, *Afrîkiya'l-Garbiyye fî Zilli'l-İslâm*. Dımaşk: Mektebetu Atlas, 1961.

Kâdî, Muhammed Mahmûd, *'Ukbe b. Nâfi' el-Fihrî Fâtihu İfrîkiyye*. Kahire: Dâru't-Tibâ'a ve'n-Neşri'l-İslâmiyye, 1999.

Mevsıllî, Ahmed, *Mevsû'atu'l-Harekâti'l-İslâmiyye fî Vatani'l-'Arabî ve Îrân ve Turkiyâ,* Beyrût, Merkezu'l-Vahdeti'l-'Arabiyye, 2004.

Muhammed, 'Abdussamed Abdullah, *eş-Şi'ru'l-'Arabî fî Garbiyyi İfrîkiyâ Munzu'l-'İsti'mâr "es-Senegâl ve Nîcîriyâ"*. Mekke: nşr. Üm-mü›l-Kurra Üniversitesi, h. 1403.

Niyâs, el-Halîfetu'l-Hâc Muhammed, *el-Kibrîtu'l-Ahmer fî Medâihi'l-Kutbi'l-Ekber*, b.y., ts.

Paul Marty, *Études sur l'Islam au Sénégal*. Paris: Ernest Leroux, 1917.

Samba, Âmir, *el-Edebu's-Senegâliyyi'l-'Arabî.* 2 Cilt, Cezâyir: eş-Şerikatu'l-Vataniyye 1978.

Say, Amîdu, el-Hitâbâtu's-Selefiyye, Boko Haram ve İştibâkâtu'l-İrhâbi's-*Sâ'id fi'l-Garbi'l-İfrîkî'l-Muslim*, Merkezu Feysal li'l-Buhûs ve'd-Dirâsâti'l-İslâmiyye, Riyad, h.1438.

Soumana, Youssoufa, *Kasîdetu İfrîkiyâ Tahta Matâriki'l-İsti'mâr,* Yazarın Özel Kütüphanesi, Türkiye.

Şâfi'î, Bedr Hasan, *ed-Devru'l-İrânî fî Afrîka*, Kahire: el-Me'hedu'l-Mısrî li'd-Dirâsât, 2020.

Umer Ba, Muhmmed Salih, *es-Sakâfetu'l-İslâmiyye fi Garbi İfrîkiyâ*. Beyrût: Müassesetü'r-Risâle, 2006.

Vâsitî, Muhammed, *Zâhiretu'l-Bedî' 'İnda Şu'arâ'i'l-Muhdisîn*, er-Ribât, Dâru Neşri'l-Ma'rife, 3. Basım, 2003.

Zevzenî, Ebû Abdullah el-Huseyn b. Ahmed, *Şerhu'l-Mu'allakâti's-Seb',* by.

EXTENDED ABSTRACT

West African literature was an oral literature transmitted over the years by the young from the old until the first century of the Hijra in which Islam was introduced to the region by the venerable companion of the prophet Uqba bin Nafi who propagated the religion to some parts of the lands bordering North Africa.

Islam later entered the middle part of west Africa through the business trips Muslim merchants from the northern part of the continent embarked on to some areas in the west to consolidate trade relations with the natives in that area and spread the religion of Islam in the region.

Africans, after embracing Islam, learned the Arabic language and its literature, and mastered it to the extent of expressing their feelings and emotions through all the poetic forms of the Arabic poetry-to varying degrees- as the Arabs did in the pre -Islamic and Islamic era.

While they emphasized and wrote more on some poetic forms like ode and eulogy/elegy, they were less moved by other poetic purposes and forms, such as self-praise poetry, and the reason, perhaps is their heed to the Islamic teachings that prevent them from being boastful except in a limited scope, such as the permissibility of boasting in front of enemies in warfare to raise the morale of fighters.

It is important to shed light on Afro-Arab poetic forms that are still unknown to many researchers, therefore this study aimed to address and analyse the self-praise poems(ode) of poets from West Africa and the extent of their usage of the Arabic rhetorical styles alongside the African compositions and expressions in this poetic form.

It is important to note that the scarcity of works in this poetic form in the region made us unable to restrict this work to a specific time or to a specific country in West Africa. As a result, we decided that the study covers the entire region to show a complete picture for this poetic form. In doing so, we prefered to use the descriptive and analytical method, to collect -as many as we could-, categorize and analyze poems written in the form of self-praise in West Africa.

In this study, it is possible to conclude that, self-praise(ode) is one of the few poetic forms in Afro-Arab poetry in West Africa, due to the strong domination of the Islamic teachings and orientations in the communities poets are from. Therefore, most of what they wrote in this regard was always within the realms of the Islamic religion. Such as boasting and praising others based on religious merits, knowledge, Sufi positions, and righteousness. They affectionately use analogies like stars that show them the straight path, epitome of knowledge, epitome of hospitality and generosity.

It became clear through this study that, some African poets imitated the ancient Arab poets, so they praised themselves with their virtuous morals and their poetic and heroic personalities, and through this, they showed the flaws of other poets to give the impression that they are the epitome of good morals.

They also touched on such merits in their praise poems that they wrote about their tribes/ethnic groups and their lineage, as they praise them to be generous, pious, knowledgeable, and righteous.

Some poets on the other hand, went beyond playing the tribal and lineage cards to praise themselves with the Islamic Ummah (world) and its achievements.

It's also evident in this study that, the poetic form of self-praise on religious basis in West Africa, in some instances came with the poet stating the characteristics of the sect to which he belongs, or heights/positions he has reached in the society. And this leads us to say that most poets in West Africa have their own sectarian affiliations within the Islamic religion, thus, in our opinion, this multiplicity of religious sects had a prominent role in the diversity and development of this poetic form(self-praise) in West Africa. However, major Islamic sects in West Africa are: Tijaniyya, Qadiriyya, Muridiyya, Salafi and Shiite.

The poetic form of self-praise in the Afro-Arab poetry is a scarce form of poetry that can only be found in the folds and between the lines of some poetic forms like ode, eulogy, sonnet, and elegy.

It is key to note that, despite the scarcity of this poetic form, most of what poets wrote to it was significant and full of rhetorical structures similar to the classic Arabic poetry and other new styles and analogies that are related to their community and African customs, such as likening their praised ones in strength and courage to bitter food that no person can swallow or likening them to the rooster in terms of voice power, as their voices fill the horizon and travels further.